بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أخي المسلم الكريم...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أما بعد:

فيقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ في محكم تنزيله: ﴿وَالمُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ الله وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ الله إِنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ التوبة [٩].

عباد الله.... معاشر المسلمين والمسلمات.... إن من أهم الأمور التي يجب على المسلمين أن يتواصوا بها فيما بينهم، وأن يشد بعضهم أزر بعض فيها، هو الفهم الحقيقي لمعاني الإسلام، ومبانيه العظام، فإن الغياب الذي يعيشه بعض المسلمين اليوم عن حقائق هذا الدين

العظيم؛ لهو السبب الرئيسي وراء كثير مما تراه من الانهزامية، وتقلب الأحوال، وضياع المبادئ، والخنوع للأعداء، والركون إليهم نبحث عن هويتنا، ومكانتنا بينهم.

لقد ذاقت هذه الأمة - وفي هذا العقد بالذات -كثيرًا من الويلات، والذل، والصغار، الذي كان الأولى به أعداء الله، تبارك وتعالى؛ وذلك بسبب ابتعادها عن صراط الله المستقيم، وسنة نبيه الكريم e، وفهم هذا الدين العظيم؛ ولهذا فإن الله ـ جل وعلا ـ أمر هذه الأمة بالفهم الحقيقي لكتابه العزيز، وسنة نبيه e، وبين أن المخرج الحقيقي الذي لا محيد عنه، ولا مناص؛ هو في تنزيل هذا الإسلام على واقع الحياة لكي يكون واقعًا فعالًا، إسلامًا يدخل مع الإنسان في كل لحظات حياته، لا انفصال، ولا انفصام، ولا انهزامية، فإن العزَّ ـ كل العزِّ ـ في تطبيق تعاليم هذا الشرع العظيم.

ولنعلم جميعًا أننا مهما لجأنا إلى الشرق أو الغرب؛ نبحث عن عزنا بخطىً متعثرة، وقلوب خاوية؛ فإن النتيجة هي الهلاك، والذل والخسران المبين ولابد؛ فهذه سنة الله في الأولين والآخرين. كما قال، تعالى: ﴿وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ الله وَلَكُمْ عَذَاب عَظِيمٌ @وَلاَ تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ الله ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ الله هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ النحل [٩٤-٩٥].

وقال، سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُم أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ الله لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ @ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِم يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى الله أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْر مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ المائدة [٥١-٥٢].

وقال، سبحانه: ﴿وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ الله مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾ هود [١١٣].

ولقد بين الله ـ سبحانه وتعالى ـ في كتابه العزيز أن هذا الإسلام يعلو، ولا يُعلى عليه، وفي الحديث: «**الإسلام يعلو ولا يعلى**»[(١)]، ولكن متي يتحقق ذلك ؟

إذا وجدنا لهذا الإسلام رجالًا يحملونه، ويعونه، ويتدبرون فيه،

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا غير معزو ، وقال الحافظ في «الفتح»: كذا في جميع نسخ البخاري لم يعين القائل، وكنت أظن أنه معطوف على قول ابن عباس فيكون من كلامه ، ثم لم أجده من كلامه بعد التتبع الكثير، ورأيته موصولًا مرفوعًا من حديث غيره أخرجه الدارقطني، ومحمد بن هارون الروياني في «مسنده» من حديث عائذ بن عمرو المزني بسند حسن، ورويناه في " فوائد أبي يعلى الخليلي " من هذا الوجه وزاد في أوله قصة، وهي أن عائذ بن عمرو جاء يوم الفتح مع أبي سفيان بن حرب، فقال الصحابة: هذا أبو سفيان وعائذ بن عمرو، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا عائذ بن عمرو وأبو سفيان، الإسلام أعز من ذلك، الإسلام يعلو ولا يعلى».اهـ.

ويعرفون حدود ما أنزل الله ـ سبحانه وتعالى ـ على نبيه e، فياله من دين عظيم لو أنه وجد رجالًا يحملونه؛ عندها فقط نَعِزُّ بالإسلام، ونرفع رءوسنا شامخة مهما احلولكت الأحوال، وأظلمت واشتدت، وتأزمت الأوضاع، فإننا على وعد من الذي وعده حاصل متحقق لا محالة؛ الله ربِّ العالمين.

فالمسلم لابد له أن يستعلي بإسلامه، وأن يعيش عزيزًا بإيمانه؛ لأنه لا كسائر الناس، فهو حامل لأمانة الله ـ جل وعلا ـ على أرضه تلك الأمانة التي عرضها الله ـ سبحانه وتعالى ـ على السماوات، والأرض، والجبال؛ فأبين أن يحملنها، وأشفقن منها، وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولًا، كما قال، سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا @ لِيُعَذِّبَ الله الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ الله عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ الله غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ الأحزاب [٧١-٧٢].

هذا الإنسان الظالم الجاهل لم ولن يستطيع أن يحمل هذه الأمانة، حتى يتخلص من هذا الظلم، وذلك الجهل، ولا مجال لذلك، ولا سبيل إليه إلا بوعي حقيقي للإسلام، وفهم لمعانيه، ومبانيه العظام.

فالمسلم الحق هو الذي يحمل أمانة الله ـ جل وعلا ـ على هذه الأرض، وهو الذي حقيقة سخر له الكون كله؛ ليخدمه ويقوم

بمراداته، إذ هو الإنسان الذي كرمه الله ـ سبحانه وتعالى ـ على سائر المخلوقات بهذا الإسلام، وبهذا الدين العظيم[١] كما قال، سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ الإسراء [٧٠].

ثم بين الله سبحانه وتعالى أن من هؤلاء الناس من هم شر عند الله جل وعلا من الدواب فقال سبحانه: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ الله الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ @ وَلَوْ عَلِمَ الله فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُون﴾ الأنفال [٢٢-٢٣].

وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ﴾ الأعراف [١٧٩].

إذن لابد لنا ـ معاشر المسلمين ـ أن نستعلي بإسلامنا، وأن نظهر بإيماننا، على حد قولـه، تبارك وتعالى: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين﴾ آل عمران [١٣٩].

وحتى لا تضيع عزة المؤمن في زحمة الأحداث، وتسلط الباطل هنا، وهناك؛ كان لزامًا علينا أن نتذكر تلك المقومات الكبار التي خصنا الله، تبارك وتعالى بها، والتي تجعلنا أهلًا للعلو، والاعتزاز بالإيمان فإن العزة لله جميعًا، ومتى ما فهمنا هذه المقومات العظيمة، وعملنا بمقتضاها؛ تحققت

---

(١) ولمزيد من التعرف على حقيقة هذه الامانة.راجع كتابي «الإنسان والأمانة الكبرى».

فينا حقيقة الإيمان، وأصبحنا بحق خير أمة أخرجت للناس، وسنذكر ـ إن شاء الله تعالى ـ جملة من الأمور التي تعيننا على فهم حقائق الإسلام، والاستعلاء بالإيمان، ورفع الرأس شامخًا به بين الأنام، وهي في الحقيقة أمور كثيرة، ولكننا سنذكر منها ثمانية أمور عليها المعول، وهي المحك الرئيسي، وعليها تدور رحى عزة المسلم، واستعلائه بالإيمان، وهي من أبرز سمات المسلم الشامخ بإسلامه الذي يرفع رأسه معتزًّا بإسلامه مستعل بإيمانه، فيما يظهر لي. والله أعلم.

فأقول وبالله التوفيق:

الطريق إلى الاستعلاء بالإيمان

أولاً: وحدانيةُ الله ـ جل وعلا ـ وصمدِيتُهُ، سبحانه وتعالى

إن من أعظم الأمور التي تدعونا ـ معاشر المسلمين والمسلمات ـ إلى الشعور بالعز، والفرح، والاستعلاء بالإيمان؛ كوننا نعبد ربًّا واحدًا أحدًا، فردًا صمدًا، بيده مقاليد الأمور، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، كما قال، تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا واللهيحكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ الرعد [٤١].

فهو مالك الملك، وهو المتصرف في الخلق بما شاء، كيف شاء، متى شاء، سبحانه وتعالى، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، فهو الكاملُ الكمالَ المطلق، وهو العلي الكبير، وهو الذي على كل شيء قدير، فهو الحي القيوم، وهو القائم على كل نفس بما كسبت، وسع كرسيه السموات والأرض، فهو الكبير المتعال.

فحري بمن عبد ربًّا هذه صفته، وعظمته وقدرته؛ أن يستشعر العزة، والرفعة، والاستعلاء بهذا الرب العظيم، تبارك وتعالى، وجدير بهذا العبد أن يذهب عنه كل خوف، وتعظيم للمخلوق، كيف لا ؟! والله هو القاهر فوق عباده، وهو الغني عن كل شيء، وكل شيء مفتقر إليه، فسبحان من لا غنىً لشيء عنه، ولابد لكل شيء منه، تبارك وتعالى جل الله في علاه؛ ولهذا

قال تعالى: ﴿وَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لله جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ @ أَلا إِنَّ لله مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ الله شُرَكَاء إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ يونس [٦٥ ـ ٦٦].

وقال، جل وعلا: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلله الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ فاطر [١٠].

وقال، تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ @ وَسَلاَمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ @ وَالْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الصافات [١٨٠ ـ ١٨٣].

فهو ـ سبحانه ـ العزيز، فمن أراد العزة ، فعليه بالتقرب، والتذلل لهذا العزيز تبارك وتعالى؛ حتى يُعِزَّه العزيز، جل جلاله، ولهذا أخبر ـ سبحانه ـ في معرض رده على المنافقين، وأمثالهم الذين يظنون أن العزة في كثرة عرض الحياة الدنيا، وحطامها الزائل الفاني من مال، وجاه، وسلطان، ونحو ذلك، أخبر ـ سبحانه وتعالى ـ أن العزة لا تكون إلا لمن اتبع شرعه، وعَبَدَهُ، وأفرده بالحب، والذل له دونما سواه، ويأتي على رأس هؤلاء الأنبياء، والمرسلون ثم أتباعهم من المؤمنين فقال، سبحانه وتعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ الله حَتَّى يَنفَضُّوا وَلله خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ المنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ @ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلله الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ المنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المنافقون [٧ ـ ٨].

فالعز، كل العز، والشرف ـ كل الشرف ـ هو في الرضا بالله ـ تعالى ـ ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد e رسولًا مُصَدَّقًا، وإمامًا متبعًا، وقائدًا إلى رضوان الله ـ تعالى ـ وجنته؛ ولهذا أخبر ـ سبحانه وتعالى ـ أن من بحث عن العزة عند غيره، سبحانه وتعالى، فإنما يجري وراء سراب، وأن مصيره إلى ذل وخسران، وبوار في الدنيا، والدار الآخرة، فقال، عز من قائل عليمًا: ﴿بَشِّرِ المُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا @ الَّذِين يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ المُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُون عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لله جَمِيعًا﴾ النساء [١٣٨ ـ ١٣٩].

وإن أكثر الناس استشعارًا لهذه العزة أعرفهم بالله، عز وجل؛ ولهذا كان الأنبياء والمرسلون أكثر الناس عزةً، وقوةً في الحق؛ فهم أعرف الناس بالله ـ جل وعلا ـ وبأسمائه، وصفاته، فمن كان بالله أعرف كان به أعز، وأرفع، وله أذل، وأطوع، ومنه ـ جل وعلا ـ أخوف، وله أتقى، ثم صحابتهم، رضوان الله عليهم، وأتباعهم على الحق إلى يوم الدين، فكل يحصل له من العزة والرفعة بحسب معرفته لله، جل وعلا، ومعاملته بأسمائه، وصفاته بما هو أهله، تبارك وتعالى، فتمتلئ القلوب حبًّا، وتعظيمًا له، وإجلالًا، وتوكلًا عليه، تبارك وتعالى؛ مما يورث القلب عزًّا، وثباتًا على المبادئ، واستعلاءً بالإيمان، وثقةً بالله، جل وعلا؛ ولهذا انظر إلى أثر اسم الله الصمد لمن عرفه، وحققه، وعمل به في واقع الحياة كيف أنه يَتَوَجَّهُ بكليته إلى هذا الصمد العظيم؟! وكيف أنه لا يبالي ولا يخاف في الله لومة لائم؟! لأنه التجأ إلى الصمد الذي يُصْمَدُ إليه في النوازل، و الحاجات.

كما قال، عز وجل: ﴿وَلله يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالملآئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ @ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ @ وَقَالَ الله لاَ تَتَّخِذُواْ إِلـهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ @ وَلَهُ مَا فِي الْسَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ الله تَتَّقُونَ @وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ الله ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ المنافقون [٧ ـ ٨].

فهو الدائم الباقي، الذي لم يزل ولا يزال الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾. قال أبي بن كعب، رضي الله عنه: (**الصمد: الذي لا يلد ولا يولد؛ لأنه ليس شيء إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا يورث**).

وقال علي وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وأبو وائل شقيق بن سلمة، وسفيان: (**الصمد: هو السيد الذي قد انتهى سؤدده في أنواع الشرف والسؤدد**) وقال أبو هريرة، رضي الله عنه: (**إنه: المستغني عن كل أحد، والمحتاج إليه كل أحد**). وقال السدي:(**إنه: المقصود في الرغائب، والمستعان به في المصائب**). وقال الحسين بن الفضل: (**إنه: الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد**). وقال مقاتل:(**إنه: الكامل الذي لا عيب فيه**).

وتأمل أيها المسلم ـ المستعلي بإيمانه المعتز بربه ـ عظيم أثر هذه الأسماء، وتلك الصفات للعزيز الحكيم العظيم، سبحانه وتعالى، وكيف أنها تقلب كيان الإنسان وتكسبه عزةً بعد ذله، وقوةً بعد ضعف، وثباتًا بعد تذبذب، وأمنًا بعد خوف؟! فكيف لو عامل العبد ربه بجميع أسمائه وصفاته؟!

كيف سيكون حاله؟! وإلى أي حد ستصل عزته وقوته وثباته على الحق؟

فمن عرف حقيقة الخالق، وعظمته، وقوته، وقهره، وقدرته؛ عرف حقيقة المخلوق، وضعفه، وذله، وقلة حيلته، وتأمل في قوله تعالى: ﴿هُوَ الله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَة هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ @ هُوَ الله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُو الملِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ المُؤْمِنُ المهَيْمِنُ الْعَزِيز الْجَبَّارُ المتَكَبِّرُ سُبْحَانَ الله عَمَّا يُشْرِكُون @ هُوَ الله الْخَالِقُ الْبَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الحشر [٢٢ ـ ٢٤].

وقوله تعالى:﴿ذَلِكُمُ الله رَبُّكُمْ لَهُ الملْكُ وَالَّذِين تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ@ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا استَجَابَواْ لكُم ويَوْمَ القِيامَةِ يكْفرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ@ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى الله وَالله هُوَ الْغَنِي الْحَمِيدُ @إِن يَشَأْ يُذْهِبكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ @ وَمَا ذَلِكَ عَلَى الله بِعَزِيزٍ﴾ فاطر [١٣ ـ ١٧].

وتأمل في حال الأنبياء كيف لما عرفوا عظمة الله وقدرته، وعاملوه بما هو أهله؛ تصاغروا كل طاغية، ومتجبر؛ لأنهم توكلوا على الحي الذي لا يموت، الذي بيده مقاليد كل شيء، وهو على كل شيء قدير، تبارك وتعالى، وتحملوا في سبيل مرضاته كل شيء؛ لعظيم حبهم لله، جل وعلا ولعلمهم أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فهذا إبراهيم ـ خليل الرحمن ـ عليه السلام ـ يقوم في وجه الطغاة وحده، ويشهر في وجوههم سيف التوحيد،

ويقارعهم بالحجة، والبيان متغافلًا عن كل ما يملكونه من العَدَدِ والعُدَد، التي يمكن أن يواجهوه بها؛ لأنه توكل على الله الفرد الصمد الواحد الأحد، جل جلاله، حتى إنهم أجمعوا على قتله تحريقًا بالنار؛ جزاءً على تجرئه عليهم، وعلى آلهتهم الباطلة؛ فما تضعضع، وما تردد، وما نكل عن دعوته، بل مضى صابرًا محتسبًا متوكلًا على الله، مضى دون أن تأثر فيه هذه المحنة، ودون أن تحرك فيه شعرةً من جسده، فالمبادئ لا يمكن أن تصادر بالتهديد والإرهاب، ولا بالسجون، والمعتقلات، فما كان منه ـ عليه السلام ـ إلا أن قابل كيدهم، ومكرهم بحسن الالتجاء إلى الله رب العالمين، ومن توكل على الله كفاه فقال، عليه الصلاة والسلام: «**حسبي الله ونعم الوكيل**»؛ فأنجاه الله رب العالمين كما قال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُم فَاعِلِينَ @ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ @ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ @ وَنَجَّيْنَاه وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ @ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ الأنبياء [٦٨ ـ ٧٢].

عجبًا!! رجل وحده يقوم لله رب العالمين؛ فيحطم الأصنام، والأوثان ويُبْقِي كبيرهم ويضع الفأس على رأسه، فيأتون إليه يزفون ويسألونه من فعل هذا بآلهتنا ياإبراهيم ؟ فيجيبهم بكل ثقة واعتزاز، لا بخور وجبن، وتنصل وابتعاد عن مواجهة الأعداء: قال: ﴿بل فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ الأنبياء [٦٣]. نعم إنها حجة آتاها الله إبراهيم، عليه السلام؛ لكي يدمغ بها القوم ثقة منه بنصر الله، تعالى،

وتمكينه، وصدعًا بالحق فإذا جاء الحق زهق الباطل كما قال، تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ الأنبياء [١٨].

ولما أرادوا به كيدًا جمعوا له نارًا عظيمة، حتى إن المرأة إذا غضبت على ابنها أقسمت أن تلقي حطبًا في نار إبراهيم، حتى أضرموا نارًا عظيمة، حتى قيل في ذلك: إن الطائر إذا مرَّ من فوقها نزل مشويًّا؛ لعظمة تلك النار، وشدة لهبها، فأتوا بإبراهيم، عليه السلام، وأوثقوه، واحكموا وثاقه، وأَلْقَوْهُ في النار [(١)]، فما كان من إبراهيم ـ عليه السلام ـ الواثق من نصر الله تعالى إلا أن قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، أي كافينا الله، جل وعلا، هو وحده يكفينا شر الأشرار وكيد الفجار. فنجاه الله ـ سبحانه وتعالى ـ من تلك النار بقوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾؛ الأنبياء [٦٩]، بردًا حتى لا تؤذيه النار بحرها وسلامًا حتى لا يؤذيه البرد ببرودته. وهكذا انقلبت حقيقة النار من صفة الإحراق لكي تكون بردًا وسلامًا على إبراهيم الله أكبر، الله أكبر.

---

(١) وبالمناسبة لابد أن ننبه على قصة إسرائيلية منكرة لا تصح انتشرت بين الناس وهي: أن جبريل ـ عليه السلام ـ عرض لإبراهيم وهو بين السماء والأرض وقال: ألك إليَّ حاجة فقال: أما إليك فلا أما إلى الله فنعم هذه القصة باطلة ولا تصح والصحيح ما جاء في «صحيح البخاري» من حديث أبي معبد عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: (حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها: إبراهيم عندما ألقي في النار) ، وقالها محمد e عندما قيل له: (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الوَكِيلُ).

وهذا نوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ لما هدده قومه قال الله مبينًا عظيم ثباته، وعزته، واستعلائه بإيمانه بالله رب العالمين: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ الله فَعَلَى الله تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ @فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الله وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ المُسْلِمِينَ @فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِف وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المنذَرِين﴾ يونس [٧١-٧٣].

وهذا هود ـ عليه السلام ـ يقص الله علينا ثباته، واعتزازه بدينه، وقوته في الحق، وصدق توكله على ربه، تبارك وتعالى، وكيف أن الله ـ تعالى ـ جعل أعداءه هم الأسفلين الأخسرين فقال، جل وعلا: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْن بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ @ إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ الله وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ @ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ @إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى الله رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم @ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِف رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظ @ ولَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَة مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ @ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِآيَات رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ وَاتَّبَعُواْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ @ وَأُتْبِعُوا فِي هَـذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ هود [٥٣-٦٠].

وهذا موسى ـ عليه السلام كليم الرحمن ـ يتحدى أقوى طاغية في زمانه فرعون ـ لعنه الله ـ فيقوم أمامه ويكلمه بلغة الواثق من ربه ـ تبارك وتعالى ـ المستعلي بإيمانه، ويقيم عليه الحجة أمام الملأ من قومه في صبر، ويقين وثبات عظيم كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَون إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا @ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَل هَـؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّك يَا فِرْعَونُ مَثْبُورًا @ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الأَرْض فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا﴾ الإسراء [١٠١-١٠٣].

حتى خرج الطاغية في أثره، وخرج موسى ـ عليه السلام ـ بقومه ناحية البحر حيث أمره ربه، وهناك أظهر موسى ـ عليه السلام ـ من الثبات وحسن الالتجاء والتوكل على الله رب العالمين ما يعجز قلمي عن وصفه ويكفي ما قاله الله ـ تعالى ـ في محكم التنزيل: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ @ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي المدَائِنِ حَاشِرِينَ @ إِنَّ هَؤُلَاء لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ@ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ@ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ @ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ @ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ @ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ @ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ @ فَلَمَّا تَرَاءى الْجَـمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ @ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ @ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ @ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ @ وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ @ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ @ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ @ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الشعراء

[٥٢-٦٨]. نعم هكذا يكون التوكل العظيم، والعزة بالله رب العالمين، نعم قالها مدوية، لتحرق سائر الطواغيت وتجلجل في أسماع المنهزمين ﴿كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٦٢] فكان النصر، وجاء الفرج من قريب فلله الحمد والمنة.

أما رسولنا محمد e فلو ذهبنا نسرد المواقف فقط سردًا بدون تعليق لبيان عظيم توكله على الله، تعالى، والتجائه إليه لما فرغنا من ذلك إلا بمجلدات يطول لذكرها المقام، وحسبنا من ذلك ما رواه البخاري عن ابن عباس حيث قال: ﴿حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الوَكِيلُ﴾ آل عمران [١٧٣] قالها إبراهيم ـ عليه السلام ـ حين ألقي في النار، وقالها محمد e حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الوَكِيلُ﴾ آل عمران [١٧٣].

ولقد ضرب الصحابة أروع الأمثلة في الاعتزاز بالله الصمد الواحد الأحد؛حتى رضي الله عنهم، وأرضاهم، ونصرهم،ومكَّنَ لهم في الأرض، وأثنى عليهم، وامتدحهم في غير ما آية في كتابه العزيز، على حسن بلائهم في دين الله، جل وعلا، وعظيم ثباتهم، واستعلائهم بإيمانهم ـ فرضي الله عنهم وأرضاهم ـ وما أحسن ما قاله شيخنا سليمان العلوان في وصفهم في كتابه «الاستنفار»: (إن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا وأقومها هديًا، وأحسنها حالًا. قوم سمحت نفوسهم بالنفس، والمال، والأهل، والدار ففارقوا الأوطان، وهجروا

الآباء، والإخوان، وبذلوا النفوس صابرين، وأنفقوا الأموال محتسبين، وناصبوا من ناوأهم متوكلين، فآثروا رضاء الله على الغناء، والذل على العز، والغربة على الوطن وقد اختارهم الله لصحبة نبيه e، ونصرته، وإقامة دينه، فأخرجوا من شاء الله من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور أهل الطغيان إلى عدل الإسلام).ا.هـ.

وهذا ربعي بن عامر t يدخل على بلاط رستم الوثير، وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة، والزرابي، والحرير، وأظهر اليواقيت واللآلئ الثمينة، والزينة العظيمة، وعليه تاجه، وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل ربعي t بثياب صفيقة، وسيف وترس، وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها، حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه، ودرعه، وبيضته على رأسه، فقالوا له: ضع سلاحك، فقال: إني لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتموني فإن تركتموني هكذا، وإلا رجعت، فقال رستم: ائذنوا له، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق؛ فخرق عامتها، فقالوا له: ما جاء بكم فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه؛ لندعوهم إليه فمن قبل ذلك؛ قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبدًا؛ حتى نفضي إلى موعود الله قالوا: وما موعود الله ؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي[1].

(١) «البداية والنهاية» المجلد التاسع.

الله أكبر هكذا تكون العزة وهكذا يكون الاستعلاء بالإيمان.

نعم.. دخل ربعي بن عامر ـ رضي الله ـ عنه بثيابه الممزقة، نعم.. إنهم لا يجدون ما يلبسون، لكن القلوب عامرة بالإيمان، والقلوب مستعلية بلا إله إلا الله، دخل هذا الصحابي ـ رضي الله عنه ـ على هذا الطاغية؛ فسأله رستم بلغة المستكبر المتعالي، وأنَّى لكافر أن يتعالى، أو يستكبر ؟! وأمامه قوة الإيمان وصموده، وكبريائه، وعلوه التي لا تهزمها سائر أمم الكفر في مشارق الأرض، ومغاربها.

قال له كسرى: لماذا أتيتم ؟ ما الذي جاء بكم ؟ ما الذي جعلكم تتطاولون على كسرى أنوشروان ؟ ما الذي جعلكم تفكرون في وطء بلاط رجل كنتم تتمنون أن تنظروا إليه فضلًا عن أن تغزوه، أو تطئوا بلاطه برماحكم، فأجابه ربعي بن عامر رضي الله عنه بلغة المسلم الواثق بالله جل وعلا المستعلي بإيمانه على كل ما يعده الناس من مسلمات العصر من قوة، وعتاد، وجاه، وسلطان، ومال، دون أي خوف، أو وجل. لماذا ؟ لأن في قلبه لا إله إلا الله، محمد رسول الله؛ إنها تيارٌ متى ما سرى في القلوب المؤمنة الصادقة غيرت وجه التاريخ، وقلبت موازين الطغاة في كل مكان. هكذا عباد الله كان القوم يتكلمون مع قلة ذات اليد، وقلة المال، وقلة العتاد، ونبذ الناس لهم، وتكالب أمم الأرض كلها عليهم، إلا أنهم أعزاء بالإسلام؛ لأنهم يعرفون قيمة الإسلام، ويعرفون حقائق الإسلام، ويَعُون حقيقة الإيمان الذي وقَرَ في صدورهم، وقام في نفوسهم، إنه الإيمان الكبير، إنهم لا يقاتلون الناس بعدد، ولا بعدة، ولا يجاهدون الطواغيت بسلطان، ولا بعتاد، وإنما يجاهدونهم بهذا

الدين، به يقاتلون، وبه ينتصرون، وبه يجاهدون، وبه يبددون ظلمات الكفر في مشارق الأرض ومغاربها، إنها لا اله إلا الله قوة متى ما تمكنت من قلوب العباد؛ انفتحت بصائرهم، وقويت شوكتهم، وظهرت عزَّتُهم، ولو كانوا أقل القليل، حتى لو أرادوا خلع الجبال لخلعوها، هكذا تكون عزة المسلم بربه، وبدينه، وهكذا يستشعر المؤمن حقيقة قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ آل عمران [١٣٩].

عندها يقذف الله الرعب في قلوب الأعداء، ويزلزل عروش الطواغيت والظالمين، والأمثلة على هذا في واقع الصحابة كثيرة جدًّا، لا يتسع المقام إلى عدها، فضلًا عن سردها، والتعليق عليها، واللبيب بالإشارة يفهم، واقرأ سيرتهم تعرف حالهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

ومن هنا نعلم لماذا دعا الله عباده إلى تعظيمه، ومعرفته ؟ وأن العباد أنفسهم هم المستفيدون من ذلك، ليعتزوا، ويستعلوا بكمال معرفتهم لله رب العالمين، ومعاملته بما هو أهله، فالنفع إلينا عائد؛ أما الله تعالى فإنه هو الغني تبارك، وتعالى.

فعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي e فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي ! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا.يا عبادي ! كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم.يا عبادي ! كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم.ياعبادي! كلكم عار إلا من كسوته. فاستكسوني أكسكم.يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا. فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضري

فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا. يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد. ما نقص ذلك من ملكي شيئًا. يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد، فسألوني. فأعطيت كل إنسان مسألته. ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر. يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله. ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه »(١).

قال تعالى:﴿وَمَا قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّموَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الزمر [٦٧].

وقوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لله وَقَارًا @وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ نوح [١٣-١٤].

ولهذا كان النبي e يعلم أصحابه معرفة الله عز وجل، ويأمرهم بالتوكل عليه، والالتجاء إليه، وحبه، والتذلل له، ومعرفة قدره، وقدرته، وعظمته جل وعلا، حتى على مستوى الغلمان منهم؛ لينشأ الغلام على العزة بالله جل وعلا، وحب الدين، وبذل الغالي والنفيس في سبيل ذلك، فعن ابنِ عَبّاسٍ رضي الله عنه قال: كُنْتُ خَلْفَ النبيّ e يَوْمًا، فَقَالَ:« **يَا غُلاَمُ، إِنّي أُعَلِّمُكَ كِلمَاتٍ: اِحْفَظِ الله يَحْفَظْكَ،احْفَظِ الله تجِدْهُ تجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ الله، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بالله، وَاعْلَمْ أَنّ الأُمّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ**

(١) أخرجه مسلم .

يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ، ولو اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يضر وَكَ بشيَءِ لَمْ يضرُ وكَ إِلاّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقلاَمُ، وَجَفّتِ الصّحُف »(١)

فارجعوا معاشر المسلمين والمسلمات إلى أسماء الله تعالى، وصفاته؛ وتَعَرَّفُوا على الله تعالى، وعاملوه بها؛ تَرَون عزًّا لا ذل معه، واستعلاءً لا سفول فيه، وقوةً لا تهزمها جحافل الأعداء، مهما كثرت، ولو اجتمع عليكم من بأقطارها.

فكلما حقق العبد التوحيد، استشعر الأمن والعز، ولو أخافه الناس كلهم، ولو تخلى عنه الناس كلهم؛ فإن ما في صدره من معرفة الله جل وعلا، وتوحيده، والحب، والذل له سبحانه أعظم من الدنيا، وما فيها.

ولسان حاله يقول:

إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

لأنه يعلم أن الأقدار بيد مقدر الأقدار الله رب العالمين، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن؛ ولهذا لما قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: إنهم يريدون قتلك قال رضي الله عنه وأرضاه:

من أي يومي من الموت أفر يـــوم لا قـــدر أم يوم قدر

يـــوم لا قـــدر لا أرهـبـــه ومن المقدور لا ينجـــو الحذر

فليكن شعارك أيها المؤمن: أجلي محدد

---

(١) أخرجه أحمد و الترمذي وقال: حديث حسن صحيح .

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى لما قيل له: إنهم اجتمعوا ليمكروا بك أو كلمة نحوها حمل ترابًا ووضعه في راحة يده ثم نفخه فأطاره وقال: هم مثل هذا.

نعم لأنه عرف الله، وعظمته، وقدرته، ومن كان كذلك فكيف يعظم سواه؟ أو يركن إلى غيره؟ جل الله في علاه.

ولْنَعْلَم جميعًا أن الكفار في المشرق والمغرب، حاولوا جاهدين أن يسدوا خلة في قلوبهم، وفاقة وفقرًا في نفوسهم، يجدونها من جراء كفرهم، وشركهم بالله العظيم، فقلوبهم من الإيمان خاوية، وبالشرك، والكفر عامرة؛ فحياتهم هم وغم، وعناء وشقاء، قلوب خربة، وعقول سقيمة.

ولهذا كان لزامًا أن يذوقوا الذل في الدنيا والآخرة، وهذا كائن لا محالة، إن عاجلًا، أو آجلًا، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ الفرقان [٧٧].

ولقد بين سبحانه وتعالى أن الخوف والذل والصغار ملازم للكفر والضلال؛ وأن العز، والرفعة، والأمن ملازم لتوحيد الله جل وعلا، والإيمان به، وبرسله كما قال تعالى:﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ @ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّن الله وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاس وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ الله وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ المسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ الله وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ آل عمران [١١١-١١٢].

وقوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِالله مَا

لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ آل عمران [١٥١].

ولكن المسلم بتوحيده لله جل وعلا، والتجائه إليه سبحانه وتعالى، وركونه، وفزعه إلى الصمد الواحد القهار، عند الشدائد، بل وحال السراء والضراء، وارتباطه بالله سبحانه وتعالى ارتباطًا وثيقًا عبر التقوى، سد هذه الخلة، وتلك الفاقة، التي عندما ضل عنها الشرق والغرب؛ جمع حطام الدنيا، وظن السعادة فيها، ثم يصعد أحدهم على رأس عمارة شامخة؛ ليلقي بنفسه، مزهقًا لحياته، وقاضيًا عليها؛ لأنه لم يجد تلك السعادة، لم يجد ما يسد به ذلك الفراغ في ذلك القلب، لكن المسلم سدها بتوحيده لله الواحد القهار كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ @ اللهُ الصَّمَدُ @ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ @ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ الإخلاص[١ـ ٤].

فالمسلم مستعل على سائر الخلائق، وعلى سائر أمم الكفر في الشرق والغرب، بأن مرجعه إلى الله الواحد القهار، ومفزعه إلى الله، الصمد، الواحد، الديان؛ فإذا احلولكت به الأمور، واشتد به الخطب، وتأزمت في وجهه الأمور، كان مفزعه إلى الله الواحد القهار؛ فيجد المخرج ويجيء الفرج من الله رب العالمين؛ فنعم المولى، ونعم النصير سبحانه وتعالى.

وما أحسن ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى: «**في القلب خلة وفاقة لا يسدها شيء ألبتة إلا ذكر الله عز وجل، فإذا صار شعار القلب، بحيث يكون هو الذاكر بطريق الأصالة، واللسان تبع له، فهذا هو الذكر الذي يسد الخلة، ويفني الفاقة؛ فيكون صاحبه غنيًّا بلا مال، عزيزًا بلا عشيرة، مهيبًا بلا سلطان، فإذا كان غافلًا عن ذكر الله عز وجل، فهو بضد ذلك،**

فقيرٌ مع كثرة جدته، ذليلٌ مع سلطانه، حقيرٌ مع كثرة عشيرته» [١]. اهـ.

فعلى كل واحد منا أن يتذكر هذه الحقيقة العظمى أنه يعبد الله الواحد، الأحد، الصمد جل وعلا.

وما أحسن ما قال الشاعر:

إذا انقطعت أطماع عبد عن الورى ... تعلق بالرب الكريم رجاؤه
فأصبح حرًّا عزةً وكرامةً ... على وجهه أنواره وضياؤه
وإن علقت بالخلق أطماع نفسه ... تباعد ما يرجو وطال عناؤه
فلا ترجُ إلا الله في الكرب وحده ... وإن صح في خل الصفاء صفاؤه

والأمر كما قيل: إن كان الله معك فمن تخاف؟! وإن كان الله عليك فمن ترجو؟!

@@@

(١) الوابل الصيب (ص ٩١).

ثانيًا: عُلْوِيَّةُ المصدر والتشريع

أنت أيها المسلم عزيز بعلوية المصدر، والتشريع؛ فالذي يشرع لك ويسيرك؛ والذي ينهاك، ويأمرك هو الله رب العالمين الواحد القهار، وهذا من أعظم ما يدعوك إلى الشعور بالعزة، والكرامة، والرفعة، وعلو المكانة ففي حين ركن الشرق والغرب إلى حثالات الأفكار، وزبالات الأذهان؛ فوضعوا القوانين، وشرعوا الدساتير على حسب الآراء والأهواء، فهم يشرعون بالنهار وينسخون بالليل، فيطبقون عقول العباد على العباد، عندها يصيح المسلم بأعلى صوته: أنه لا يقبل كائنًا من كان أن يُشَرِّعَ له، أو يُقَنِّنَ له، أو أن يُمَنْهِجَ له سوى الله رب العالمين جل وعلا وتقدس، لسان حاله يقول: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لله أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ يوسف [٤٠].

يصيح قائلًا بلغة ملؤها الرفض، والاستياء، وعدم القبول والإذعان:

أنا عبدٌ لله ولست عبدًا للناس، فلا أرتضي سوى شرع الله بحال من الأحوال حاكمًا ومُحَكَّمًا.

إذن جاء الإسلام؛ ليخرجك أيها الإنسان المسلم من عبادتك للعباد إلى عبادة رب العباد، فأنت أيها المسلم لا تقبل تشريعًا من سوى الله جل وعلا، ولا تقبل منهجًا سوى منهج الله سبحانه وتعالى، كما قال تعالى:﴿وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأنعام [١٥٣].

هذه وصية الله جل وعلا إليك أيها المسلم من فوق سبع سماوات، أن لا ترضى ـ بحال ـ تشريعًا سوى شرع الله جل وعلا، ولا مُحْتَكَمًا إليه سوى شرع رب العالمين، في وقت عمَّ فيه تحكيم آراء العباد على العباد، بل ويُحْمَلُ الناسُ عليها بالحديد والنار؛ ولذلك ترى أمم الأرض اليوم ترزح تحت نير الآصار والأغلال، وتعيش ألوانًا من الذل والشقاء، والنكد، والهم والغم، وقلة ذات اليد، كل هذا وغيره كثيرٌ حصل ؛ بسبب تنكر العباد لشرع الله سبحانه وتعالى ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ النبأ [٢٦] ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فصلت [٤٦] فهذه سنة الله في كل من أعرض عنه سبحانه وتعالى، وعن شرعه، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ طه [١٢٤].

ولهذا قال تعالى مرشدًا عباده إلى ما يكون به عزهم، وفلاحهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة، فقال عز من قائل عليمًا: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ الأعراف [٩٦].

إذن هذا التكذيب، وهذا التخلي، وهذا الإعراض عن شرع الله جل وعلا؛ هو السبب الرئيسي وراء كثير مما نراه اليوم من تسلط الأعداء، وتكالبهم علينا، فنحن أقوياء متى ما تمسكنا بالإسلام، وعملنا بتشريعاته العظيمة، وأذلاء متى ما تخلينا عن الإسلام، ومبانيه العظام.

ولهذا أكد النبي e على هذا المعنى الكبير فقال: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة على قصعتها، قال: قلنا: يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاءً كغثاء السيل، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن قال: قلنا وما الوهن؟ قال: حب الحياة، وكراهية الموت**»(١).

هذا الحديث عباد الله يبين فيه النبي e حقيقةً عظمى لابد أن نعيها ونفقهها: أن المسلمين لم ولن يزالوا أعزاء متى ما تمسكوا بهذا الدين، وأن أمم الكفر مهما كثرت، وتكالبت، وتناصرت، وتداعت من مشارق الأرض ومغاربها؛ لكي يقضوا على هذا الدين وأهله؛ فلن يستطيعوا ذلك أبدًا؛ حتى يضعف المسلمون في أنفسهم؛ وحتى يتخلوا عن دينهم، ومنهجهم وشرع ربهم؛ عندها يأتي الأكلة الذين يتربصون بتلك القصعة، وكانوا ينتظرون ضعف القائم عليها؛ لكي ينقضوا عليها، وينهشوها، كما ينهش الذئب فريسته.

إذن يوشك أن تتداعى علينا الأمم من مشارق الأرض ومغاربها، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، وقد وقع ما أخبر به الصادق المصدوق e في

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث ثوبان t بسند صحيح وأخرجه أبو داود بسند فيه ضعف.

عالم اليوم، بل وفي هذا العقد بالذات ظهرت أبشع ألوان المكر والخديعة، والكيد للإسلام والمسلمين، وكشر الأعداء عن أنيابهم، ومضوا يسفكون الدماء الطاهرة، ويهتكون الأعراض المصونه، ويسلبون الأموال المعصومة؛ وذلك كله وقع من جراء تكالب أكثر المسلمين اليوم على الدنيا، وتنكرهم لهذا الدين العظيم، وبعدهم عن مباني الإسلام العظام، وتخليهم عن شرع الله جل وعلا، واستبدالهم إياه بشرع عباد البقر والفئران، والفروج والأوثان، والأصنام والصلبان؛ فكان ذلك هو أعظم الأسباب التي أوقعتنا فيما نحن فيه اليوم من الذل، والخور، والتقهقر.

فعلينا جميعًا أن نعلم أنه لا عز، ولا رغد في العيش، ولا أمن، ولا أمان، ولا استقرار إلا في تطبيق شرع الله جل وعلا.

ولهذا كانت التشريعات الجاهلية في يوم من الأيام شبحًا يخيف أهلها، وظلامًا تعيشه أوربا، رزحت تحت نيره سنوات طويلة؛ بسبب فساد تشريعاتهم، لماذا ؟ لأنها من وضع العباد، فهي إذن حثالة أفكارهم، وزبالة أذهان رهبانهم وأحبارهم، جمعوها في كتب، وطبقوها على العباد؛ ليأكلوا أموال الناس بالباطل؛ وليعبدوا العباد لهم، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ الله وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ الله فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ التوبة [١٩٢].

فجاءت تشريعاتهم الجاهلية لا تواكب الإنسان، ولا تخدم قضيته، ولا تتناسب مع مراداته، وطموحاته؛ فقد صادمته في تعليمه وفكره وحجرت

عليه عقله أن يفكر به، وحاربت كل اختراع نافع، أو عمل صالح، فردت عليه كل ما هو حسن؛ لأن الكنيسة أرادت أن تسيطر على العالم كله، وأن تبقى اللقمة السائغة دائمًا في فمها وحدها؛ وأما من عداها، فليأكلوا الطين والرمل كما قال سلفهم الجاهلي في جاهليته:

ونشرب إن وردنا الماء صفوًا ويشرب غيرنا كدرًا وطينا

وهم اليوم ما زالوا يتخبطون في غياهب الجاهلية المعاصرة؛ ولهذا لا زالوا ولن يزالوا -طالما أنهم على هذه الحالة- في الفرقة، والهم، والغم، وشتات الأمر، فهم لما فروا من شرع الكنيسة المحرف المبدل؛ ارتموا في أحضان الإلحاد، والزندقة والعياذ بالله تعالى.

ولكن نخطئ كثيرًا عباد الله عندما نطبق هذا التصور الخاطئ على إسلامنا، على ديننا الحنيف، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه؛ لأنه ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت [٤٢].

وللأسف الشديد أنه وجد بين المسلمين من يوجه نفس هذه النظرة إلى هذا الدين العظيم؛ وذلك بسبب تصوره الخاطئ للإسلام؛ فكانت النتيجة أن ظهرت فينا الانهزامية، والتقهقر، والرجعية، وأصبحنا نسمع ونرى من بعض المنتسبين لهذا الدين العظيم من يصف المسلمين بالرجعية، والتخلف، عندما ينادون بالالتزام بشرع الله جل وعلا، وتطبيق حدوده عياذًا بالله من ذلك.

لأنهم يظنون أن ما وقع مع الغرب بسبب الكنيسة، هو نفسه ما سيقع

لنا إذا التزمنا بشرع الله جل وعلا.

كلا عباد الله هذا ضلال عظيم، وفساد في التصور كبير، ولا يكاد ينطق به إلا المنافقون، على اختلاف صورهم، وأشكالهم (من العلمانيين، ودعاة الوطنية، والقومية، والعقلانية، والعصرانية، والشيوعيين، والرافضة المارقين، وأشباههم، وأفراخهم من الماسونيين، وعُبَّاد المال من الطابور الخامس المشين المهين).

فأقول: لم يعش العالم كلُّه حضارةً، ولا تقدُّمًا كما عاشه المسلمون لما تمسكوا بدينهم، وطبقوا شرع ربهم؛ ولهذا فقد خسر العالم الكثير الكثير بسبب تخلي المسلمين عن موضع القيادة والريادة، حينما تركوا شرع الله رب العالمين، وإله الأولين والآخرين، وفزعوا إلى تشريعات العباد الجاهلية.

إن هذا الدين دين معصومٌ كامل، وقد امتن الله على العباد بذلك فقال سبحانه وتعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ المائدة [٣].

وإن هذا الإسلام محفوظ كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر [٩].

هذا وعد إلهي بالحفظ، والتمكين، والعناية التامة بهذا الدين؛ فمن الظلم العظيم أن يوجد بين المسلمين من ينادي إلى أفكار الشرق والغرب؛ ومن الظلم العظيم، والغبن الفاحش لدين الله تعالى أن يوجد بين المسلمين من يطبق غير شرع الله جل وعلا، هذه انهزامية تامة منقطعة النظير، ولهذا

سمى الله تبارك وتعالى المتنكر لشرعه ـ إما بالامتناع عن تطبيقه أو بتبديله أو بإحلال الشرع المبدل مكان الشرع المنزل عبر تطبيق القوانين الوضعية ـ سماه الله تعالى كافرًا(١)، وأخبر أن له الذل، والصغار وعذاب النار: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ @ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ الشعراء [٨٨-٨٩].

كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ المائدة [٤٤]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلًا @ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَن يَلْعَنِ اللهُ فَلَن تَجِدَ

---

(١) ومن العجائب في هذا الزمان أننا نجد من يعذر عن الذين حكموا شريعة الطاغوت في رقاب عباد الله، وحملوهم على ذلك بالحديد والنار وهم يستميتون في الدفاع عن هؤلاء الحاكمين بغير شرع الله تعالى، في حين أننا لا نجد أحدًا منهم يبين للناس وللحكام أن الحكم بغير ما أنزل الله بالإجماع حرام لا شك فيه، سواء قلنا أنه كفر أكبر ناقل عن الملة وهو الراجح بعد قيام الحجة واستبانة المحجة بتحقيق الشروط وانتفاء الموانع، أو كما قال آخرون أنه كفر أصغر «كفر دون كفر» مع أن الإجماع منقول في أنه كفر أكبر.

أقول لماذا لا يقوم هؤلاء المجادلين عن الطواغيت بتحذير الناس من طاعة هذه التشريعات الجاهلية وأنه مهما كان الحال فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وهذا أمر مجمع عليه عند أهل السنة والجماعة، والأحاديث في ذلك متواترة في حين أننا نجدهم يبرون أقلامهم ويسلطون ألسنتهم بل وأيديهم إن استطاعوا على كل من يقوم لينكر هذا الطاغوت الأكبر ويحذر من هذا المنكر العظيم وينادي بضرورة إزالته وتنحية هذه التشريعات الجاهلية عن دنيا الناس.

ولكن قليل من هؤلاء من يبين للعامة حرمة وخطر الحكم بغير ما أنزل الله وأنه لا تجوز الطاعة في ذلك وأن الحكم بغير ما أنزل الله أعظم من الزنا وشرب الخمر والربا، فقد سماه الله في القرآن كفرًا وفسقًا وضلالاً، ورمى القائمين به بالنفاق واتباع الهوى ولكن لا نرى ذلك إلا نزرًا يسيرًا.

فاللهم ردنا وإياهم إلى سواء الصراط، وعافنا الله وإياهم من الهوى المعمي الصمم، آمين.

لَهُ نَصِيرًا﴾ النساء [٥١-٥٢].

وقال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [آل عمران:٢٣-٢٩].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلًا بَعِيدًا @ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ النساء [٦٠-٦١].

ولعل من **الحجج الواهية** التي يعتذر بها من جهل حقيقة هذا الدين أنهم يقولون: (**إننا إن طبقنا الإسلام، وشرع الله تعالى؛ فسيتسلط علينا أهل الباطل، وستحاربنا دول الكفر قاطبة كأمريكا وغيرها، وستزول كراسينا،**

وسيضمحل ملكنا). فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ونعوذ بالله من سوء الظن بالله رب العالمين.

فهؤلاء يظنون أن الأمر بيد العباد، وطواغيت العصر من اليهود، والنصارى، ودول الكفر، والضلال؛ وعلى رأسهم أمريكا الظالمة المتجبرة، قصمها الله، آمين.

أقول: كيف يظن هؤلاء أنهم لو طبقوا شرع الله بصدق أن الله سيخذلهم، هذا من أبعد الأمور، ولكن ما الحيلة فيمن فسدت نيتهُ، وساءت طويته؟!، وحقيقة أمره أنه ليس في قلبه يقين بنصر الله تعالى، وأنه لم يقدر الله حق قدره؛ أو أنه كاذب، لا يريد أصلًا تطبيق الشرع، ولا العمل بالإسلام؛ وهذا ظاهر، وواضح للعيان والله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ محمد[٢١] ولهذا قال تعالى عن أمثال هؤلاء كاشفًا حقيقة أمرهم، ومكرهم، وخداعهم: ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ القصص [٥٧].

وكشف الله سترهم وفضحهم وفي كتابه العزيز ورد دعواهم أنهم مؤمنون وفي حين أنهم يقبلون من الشرع ما يوافق هواهم وواقعهم ويتنكرون أو ينكرون كل تشريع يخالف أهواءهم وعاداتهم وتقاليدهم، وضغط واقعهم فقال تعالى مجليًّا أمرهم ومظهرًا مخبئات صدورهم وما تخفي قلوبهم فقال العليم الخبير بخلقه: ﴿[illegible]
[illegible]﴾

[illegible] النور [٤٧-٥٠] ثم بين تعالى حقيقة الإيمان وموقف المؤمنين مع شرع رب العالمين فقال تعالى: ﴿[illegible] النور[٥١-٥٢].

فعودوا معاشر المسلمين والمسلمات إلى تطبيق شرع الله تبارك وتعالى، والمطالبة بشدة، والإصرار بالعمل الجاد، لإقصاء تلك التشريعات الجاهلية، التي لا تزيدنا إلا ذلًا، وصغارًا، وويلًا، ووبالًا في الدنيا والآخرة عياذًا بالله من ذلك، فالعز كل العز في تطبيق شرع الله تبارك وتعالى، والذل كل الذل في القوانين الطاغوتية الجاهلية. ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ آل عمران [٨٤].

@@@

ثالثًا: عظمة القدوة وعلو المنزلة، وشرفها

إنك عبد الله، من أمة محمد e هذه الأمة المرحومة، التي شرفها الله تعالى بهذا النبي العظيم، الخاتم سيد الأنبياء، وأشرف المرسلين، أكرم خلق الله على الله رب العالمين.

فهذه الأمة لها مكانتها بين الأمم، كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِالله﴾ آل عمران [١١٠].

فكفاك أيها المسلم شرفًا وعزًّا انتسابك إلى هذا الرسول العظيم e، ولكن لابد أن يكون هذا الانتساب انتسابًا حقيقيًّا تامًّا في المظهر والمخبر، لابد من الانتصار لسنة النبي e، والذَّبِّ عنها، وتنزيلها على الواقع.فإن الله تعالى يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيرًا﴾ الأحزاب [٢١].

فهذا النبي e بعث؛ ليطبق هذا الدين في واقع الحياة، ويبين ما أراده الله تعالى من عباده؛ لكي يتحول الإسلام إلى واقع عملي يعيشه العباد؛ ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها وقد سُئِلَتْ عن خلق النبي e فقالت: «**ألست**

تقرأ القرآن ؟ قلت: بلى. قالت: فإن خلق نبي الله e كان القرآن»[١].

فالنبي e حَوَّلَ الإسلام بتعاليمه الربانية من الأوامر والنواهي إلى واقع عملي عاشه e، وعاشه معه أصحابه رضوان الله عليهم، وإنه لمن الغبن العظيم أن نسمع فيما بين المسلمين من إذا دعي إلى الله ورسوله، ودعي إلى تطبيق منهج الصحابة الكرام، قال بصيغة المستبعد للأمر، وكأنه شيء مستحيل وقوعه أو تكرره قال: (ذلك النبي e، وأولئك الصحابة رضوان الله عليهم فأين نحن منهم؟ وإننا مهما فعلنا فلن نستطيع أن نفعل ذلك؛ فنحن معذورون إذن ألا نطبق كل ما طبقه أولئك الأطهار الأخيار، فأولئك قوم ونحن قوم). **وهذا اعتذار ساقط مشين.**

فنقول: نَعَمْ عباد الله ذلك جيل لا يمكن اللحاق به من جهة الفضل والعدل، والكرامة على الله جل وعلا، ولكن من جهة التطبيق لهذا الدين، فهذا أمر عام لجميع العباد يجب أن يقوموا به، وليس ذلك خاصًّا بالصحابة رضي الله عنهم، فإن تعاليم الإسلام هي تعاليم الإسلام، فالدين واحد، ولن يتغير، فالدين الذي طبقه الرسول e والصحابة الكرام البررة، هو نفس الدين الذي خُوطبنا به نحن، وأمرنا بالعمل بمسلماته، ومبانيه العظام، وتنزيل مبادئه الثابتة على دنيا الواقع.

فالأمر الذي لاشك فيه أننا كلنا كُلِّفْنا أن نقوم بهذا الدين، وأن ننزله في

(١) أخرجه أحمد ومسلم وغيرهما من حديث سعد بن هشام عن عائشة، رضي الله عنها .

واقع الحياة، وأن ذلك باستطاعة جميع العباد؛ فإن الله تعالى قد أخبر أنه لم يكلف عباده إلا ما يطيقون، وما يستطيعون، قال تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ الله نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ البقرة [٢٨٦].

إذن هذا الدين نستطيع أن نطبقه، ونعمل به في كل صغير، وكبير في حياتنا، وواقعنا، وما هذا الجيل الفذ من الصحابة الكرام إلا دليلٌ واضحٌ، وحجةٌ قاطعةٌ أن الله لم يكلف بني آدم ما لا يطيقون، فهاهم هؤلاء الصحابة الذين هم من بني آدم، وليسوا ملائكة، ولا صنفًا آخر من خلق الله، بل هم مثلنا من بني آدم، هاهم هؤلاء قد قاموا بالدين حق القيام، ولكن الخلل، والعيب في أنفسنا، وفي بعدنا عن تعاليم الإسلام، وفي تنكرنا لسنة النبي e، وعليه فيجب أن يكون انتسابنا لهذا الدين، ولهذا الرسول الكريم e انتسابًا حقيقيًّا عمليًّا واقعيًّا؛ لكي ننتفع به، وتحصل لنا العزة من جراء ذلك بإذن الله تعالى، وإلا فهيهات هيهات أن نجد العزة أو النجاة، ونحن قائمون بغير دين الله، ومهتدون بغير هدي رسول الله e.

ولنعلم جميعًا أن هذا هو التبديل الذي حذرنا من مغبته رسول الله e في غير ما حديث، فمنها قوله e: «**إني على الحوض حتى أنظرَ من يَرِدُ عليَّ منكم، وسيُؤْخذُ ناسٌ دوني، فأقول: يا ربِّ مني، ومن أمتي، فيُقال: هل شَعَرتَ ما عملوا بعدَك؟ والله ما برحوا يرجعونَ على أعقابهم**»(١). **فكان ابنُ أبي مُليكةَ يقول: اللهمَّ إنا نَعوذ بكَ أن نرجعَ على أعقابِنا، أو نُفتن عن ديننا.**

(١) متفق عليه من حديث أسماء بنت أبي بكر، رضي الله عنهما .

وفي «البخاري» عن أبي هريرةَ عن النبي e قال: «**بَينا أنا نائم، فإذا زُمرة، حتى إذا عَرَفتهم، خرجَ رجل من بيني وبينهم فقال: هلمَّ، فقلتُ: أين؟ قال: إلى النار والله، قلتُ: وما شأنهم؟ قال: إنهمُ ارتدُّوا بعدَكَ على أَدبارهم القهقَرى. ثمَّ إذا زُمرة، حتى إذا عرَفتهم خرجَ رَجلٌ من بيني وبينهم فقال: هلمَّ، قلتُ: أينَ؟ قال: إلى النار والله. قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدواُّ بعدكَ على أدبَارهِم الْقهقرىَ، فلا أراهُ يخلَصُ منهم إلا مثل هُمَ ل النَّعَم**».ورواه مسلم أيضًا بنحوهما وفي بعض الروايات «**فأقول: سحقًا سحقًا لمن بدل بعدي**».

ولهذا امتدح الله تعالى الصحابة الكرام البررة ومن سار على هديهم بأنهم طبقوا الإسلام ودخلوا فيه كافة وأنهم لم يقدموا على أمر الله ورسوله مالًا ولا ولدًا فقال تعالى: ﴿مِنَ المؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا @ لِيَجْزِيَ الله الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ المنَافِقِينَ إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ الله كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ الأحزاب [٢٣-٢٤].

ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ @ فَإِن زَلَلْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُواْ أَنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيم﴾ البقرة [٢٠٨ - ٢٠٩].

و قال تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا

دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ الله يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ الأنفال [٢٤].

ومن هنا نعلم خطورة التبديل، والتغيير لهدي النبي e، وأنه هو الذي هوى بنا في هذه الهوة السحيقة، التي يعيشها كثير من المسلمين اليوم، فقد سُلِّطَ علينا الذل، ونزع الله المهابة منا من قلوب أعدائنا؛ فأصبحنا أذل أهل الأرض، وصارت دماؤنا أرخص الدماء على الإطلاق؛ لأننا هان علينا ديننا، وتنكرنا لشرع ربنا، وسنة نبيه e؛ فكان ما نحن فيه جزاءً وفاقًا، ولا مخرج لنا من هذه الورطة العظيمة إلا بالرجوع الصادق لهذا الدين، وتحكيمه في الصغير والكبير من حياتنا، والاعتزاز بسنة سيد المرسلين نبينا محمدٍ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وأن يكون ذلك أمرًا واقعيًّا حقيقيًّا، لا شعاراتٍ براقةً ترفع، ولا إعلامًا نسمع منه جعجعةً، ولا نرى طحنًا ولا طحينا. فما أكثر الكلام اليوم عن الإسلام، والتمسح به، والانتساب إليه، وما أقل العاملين به بحق وحقيقة.

عباد الله إن هذا النبي الكريم e يتمنى كل صالح وصِدِّيقٍ أن لو كانوا من أمته؛ فهو القدوة العظمى، والإمام الأعظم، وهو حامل لواء الحمد يومَ القيامة، وهو صاحب المقام المحمود، وهو أفضل، خلق الله جل وعلا وأطهرهم وأكملهم فلماذا هذا التنكر لسنته؟. إن هذا من أعجب العجب.

إن الغرب الكافر إذا ظهر فيهم عظيم من عظمائهم، أو كبير من كبرائهم، أو أحد مشاهيرهم؛ تراهم حريصين كل الحرص على تقليده،

واتباع أثره في كل شيء، حتى إنهم ليقلدونهم في هيئاتهم، وطريقة مشيتهم، ومنهج حياتهم، هذا وهم أذل، وأهون على الله من الجعلان التي تدفع النتن بأنفها، وأضل من الحيوانات سبيلًا، كما قال، تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ الله الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ @ وَلَوْ عَلِمَ الله فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ الأنفال [٢٢-٢٣]. وقال، تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ الله الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُون﴾ الأنفال [٥٥].

وأنت أيها المسلم مالك لا تقلد، وتقتفي، وتتشبه بخير خلق الله، وأكرم خلق الله، وأطهر خلق الله، وأعظم خلق الله على الإطلاق؟! والشرف لك في ذلك، فهو e سيد ولد آدم، وحامل لواء الحمد يوم القيامة، وهو الشافع المشفع في المحشر e.

فما لي أراك مُزْوَرًّا عن سنته، مستحييًا من العمل بها؟! أتخشى أن تُنسَبَ إلى تطبيق السنة، والعمل بها؟! فاتق الله عبد الله، واشكر هذه النعمة العظيمة التي حباك الله بها، حيث جعلك الله من أمة هي أفضل الأمم، وبعث لك أفضل الرسل، وأنزل إليك أفضل الكتب، هذا كله دون تعب منك، ولا نصب، ولا وصب؛ فاحمد الله على هذه النعم العظيمة، والآلاء الجسيمة، و احذر أن تكفر هذه النعم؛ فتزل قدمٌ بعد ثبوتها؛ فتذوق السوء والعياذ بالله من ذلك. فبالشكر تقر النعم، وبكفرها تزول؛ فارفع رأسك بهذا الهدي النبوي شامخًا مستعليًا بإيمانك، فرحًا بانتسابك لأطهر خلق الله، وأفضلهم، وأشرفهم محمد ـ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ لا كحالة

من يطبق السنة على استحياء وراء الكواليس؛ خشية أن يُوصَمَ بها، فارفع رأسك بالسنة مهما كثر المشنعون، والمعاتبون، والمنافقون، وهذا معنى شهادة أن محمدًا رسول الله.

وإليك أخي المسلم جملة من الأسئلة التي تطرح نفسها عليك؛ لتختبر بها مدى تحقيقك لمعنى هذه الشهادة العظيمة؛ ولتنظر أين أنت من المحبة الحقيقية لله ورسوله؟:

هل معتقدك في الشهادتين، ومعناهما، ومقتضاهما موافق لمعتقد النبي e في أسماء الله، وصفاته، وربوبيته، وإلهيته سبحانه وتعالى ؟ أم أنت من المقلدين التائهين الذين يعبدون الله على حرف، وهم ماكثون على هامش العقيدة والدين ؟

هل صليت وفق قوله، عليه الصلاة والسلام: (صَلُّوا كما رَأَيْتُمونِي أُصَلِّي؟) [1] **هل أديت مناسك الدين على وفق قوله، عليه الصلاة والسلام: (لتأْخُذُوا عنِّي منَاسِكَكُم)** [2] **؟**

أين اقتفاؤك لسنة نبيك e مظهرًا ومخبرًا ؟

أين لحيتك ؟ لماذا تحلق سنة نبيك الكريم e ، وتلقيها في المزبلة ؟ لماذا تشوهها بالأخذ منها؛ حتى صارت كالعرجون القديم ؟ لماذا هذا التلاعب

---

(١) أخرجه البخاري من حديث مالك بن الحويرث، رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبدالله، رضي الله عنهما.

بهذه الفريضة التي أجمع المسلمون على فرضيتها كما نقل إجماعهم الإمام ابن حزم في كتابه «مراتب الإجماع» حيث قال: (أجمع المسلمون على أن إعفاء اللحية فرض وأن حالقها يعزر).

أين تقصيرك لثيابك على وفق ما كان عليه رسول الله ﷺ؟ ما لي أراك قد خالفت هدي نبيك e في إزارك ولباسك وتشبهت بأعدائك ؟

أختي المسلمة، أين تطبيقك لأوامر نبيك e في حجابك وحيائك وعفافك ؟

فاتقوا الله ـ معاشر المسلمين والمسلمات ـ وتذكروا نعمة الله عليكم حيث قال، تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى المؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ آل عمران [١٦٤].

وقال، سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالمؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ @فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ الله لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيم﴾ التوبة [١٢٩].

وربط الله ـ تبارك وتعالى ـ محبته بمحبة نبيه؛ فقال، تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبكُمْ والله غَفُورٌ رَّحِيمٌ@ قُلْ أَطِيعُواْ الله وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ الله لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ آل عمران [٣١-٣٢].

ولن تتمثل فينا حقيقة محبة النبي e بالأهازيج، والمدائح، ولا بالموالد،

والمواسم البدعية. بل لن تتمثل فينا حقيقة محبته ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلا بالمتابعة الصادقة، والجادة لسنته عليه الصلاة والسلام، واقتفاء أثره في كل صغير وكبير من حياتنا، وما عز الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، وما رفعهم الله تعالى إلا بهذا الاقتفاء، والتطبيق العملي الواقعي لمحبة الرسول e عبر الاعتزاز بسنته، وتطبيق أوامره، واجتناب نواهيه حتى فيما يظهر لهم أنه خير لهم كما قال رافع بن خديج: «**كُنّا نُحَاقِلُ الأَرْضَ عَلَىَ عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ. فَنُكْرِيهَا بِالثّلُثِ وَالرّبُعِ وَالطّعَامِ المسَمّى. فَجَاءَنَا ذَاتَ يَوْمٍ رَجُلٌ مِنْ عُمُومَتِي. فَقَالَ: نَهَانَا رَسُولُ الله e عَنْ أَمْرٍ كَانَ لَنَا نَافِعًا. وَطَوَاعِيَةُ الله وَرَسُولِهِ أَنْفَعُ لَنَا**»(١).

ومن العجائب - وليس في ذلك عجب لمن عرف حقيقة الصحابة وعظمة الطاعة التي قامت في قلوبهم لله ورسوله - ما جاء في «سير أعلام النبلاء» في ترجمة الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة t ، من طريق حماد بن زيد، حدثنا ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: أن عبد الله بن رواحة أتى النبي e وهو يخطب فسمعه وهو يقول: «**اجلسوا؛ فجلس مكانه خارج المسجد، حتى فرغ النبي e من خطبته، فبلغ ذلك النبي e فقال: زادك الله حرصًا على طواعية الله ورسوله**». وروي بعضه عن عروة عن عائشة. اهـ. (بتصرف يسير لبيان المعنى).

وهذا غيض من فيض مما ضرب فيه الصحابة الكرام أروع الأمثلة في

(١) أخرجه مسلم .

الاعتزاز بسنة النبي e، والتصديق التام والعمل بها؛ لعلمهم أنه لا فلاح، ولا عِزَّ، ولا نجاح، ولا تمكين إلا بالطواعية التامة لهذا النبي الكريم e ولهذا قال النبي e: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين**»(١).

ولهذا كان كثيرًا ما يأمر النبي e أصحابه، ويذكرهم بأن تكون لهم به الأسوة التامة في كل صغير وكبير من شئون حياتهم، وإليك طرفًا من ذلك أخرج الترمذي في " الشمائل " والنسائي من طريق أشعث بن أبي الشعثاء - واسم أبيه سليم - المحاربي عن عمته واسمها رهم بضم الراء وسكون الهاء، وهي بنت الأسود بن حنظلة عن عمها، واسمه عبيد بن خالد، قال: «**كنت أمشي وعلي بُردٌ أجره، فقال لي رجل: ارفع ثوبك فإنه أنقى وأبقى، فنظرت فإذا هو النبي ﷺ، فقلت: إنما هي بردة ملحاء، فقال: أما لك فيَّ أسوة ؟ قال: فنظرت فإذا إزاره إلى أنصاف ساقيه**» قال الحافظ في «الفتح»: وسنده جيد.

وفي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان نساء المؤمنين يشهدن الفجر مع رسول الله ﷺ، ثم يرجعن متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس.

وقال ابن كثير في «تفسيره»: وروى ابن أبي حاتم عن صفية بنت شيبة قالت: بينا نحن عند عائشة قالت: فذكرنا نساء قريش وفضلهن، فقالت

---

(١) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه .

عائشة رضي الله عنها: إن لنساء قريش لفضلًا وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقًا لكتاب الله ولا إيمانًا بالتنزيل، ولقد أنزلت سورة النور: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ النور [٣١] فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذي قرابته، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل، فاعتجرت به تصديقًا وإيمانًا بما أنزل الله من كتابه، فأصبحن وراء رسول الله e معتجرات كأنهن على رءوسهن الغربان (أخرجه ابن أبي حاتم وأبو داود). وأخرج ابن جرير عن عائشة قالت: يرحم الله النساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن أكتف مروطهن فاختمرن بها.اهـ.

نعم إنه الاعتزاز التام بسنته عليه الصلاة والسلام والاقتفاء الكامل لأثره e، ولله در الإمام سفيان الثوري عندما قال: إن استطعت أن لا تحك رأسك إلا بأثر فافعل.

فاتقوا الله معاشر المسلمين والمسلمات في نبيكم عليه الصلاة والسلام، واعرفوا له حقه وقدره، وإن من أعظم نكران الجميل في حقه عليه الصلاة والسلام التنكر لسنته، وعدم العمل بها، والمصيبة الأعظم تركها إلى غيرها من أفعال الذين لا خلاق لهم: من المنافقين والعلمانيين واليهود والنصارى، وأضرابهم من المجوس، والذين أشركوا.

فالله الله! في سنة نبيكم، اعتزوا بها، وارفعوا رءوسكم عالية بتطبيقها، ولا تبالوا بكثرة المشنعين، ولا المخالفين، ولا تستوحشوا من قلة السالكين والمتبعين، فإن العز والتمكين، والفلاح والرشد في طاعة هذا النبي الأمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. فافقهوا هذه الحقيقة الكبرى التي عرفها هرقل الروم، ولا تكونوا أسوأ منه حالًا، وذلك عندما قال لأتباعه عندما جاءه كتاب النبي e مع دحية الكلبي رضي الله عنه قال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي ؟ أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

فقد عرف هذا العلج الرومي أنه لا فلاح ولا رشد إلا في اتباع المصطفى ﷺ وطاعته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فما بال بعضنا لم يفقه هذه الحقيقة العظمى مع جلائها ووضوحها ؟! ولكن كما قال الشاعر:

ومن يك ذا فمٍ مُرٍّ مريضٍ يجد مُرًّا به الماء الزلالا

@@@

رابعًا: صدق الميعاد وتحقق الوعد

أنت أيها المسلم موعود بالنصر والتمكين، فمهما أظلمت الدنيا، ومهما احلولكت الخطوب، وتأزمت الأمور، وتكالب الشرق والغرب على الإسلام والمسلمين، لابد أن تضع في قلبك يقينًا: اسمه الثقة بنصر الله جل وعلا، لابد أن تثق بنصر الله سبحانه وتعالى لهذا الدين و أهله، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ @ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ @ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ الصافات [١٧١-١٧٣]. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ الأنبياء [١٠٥].

إن الثقة بنصر الله جل وعلا هي هدي الأنبياء والمرسلين، ونحن أيضًا لابد أن نكون كذلك، فإن الوعد بالنصر كائنٌ لا محالة؛ طالما أننا عملنا بالأسباب في نصرة دين الله جل وعلا، وبذلنا كل غالٍ ورخيص، ووطأنا للأمر، فليكن ما يكون فإن الله جل وعلا ناصر دينه، ومُعلٍ كلمته، وقد تقدم معنا قصة موسى مع فرعون اللعين، وكيف أنه كان واثقًا من نصر الله رب العالمين، وأنه لم يؤثر فيه إرجاف العدو، ولا قوته، ولا عدده، ولا عدته؛ لأنه قام لينصر دين الله تعالى، والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ محمد [٧].

فأين نحن عباد الله من وعود كثيرة وعدنا الله عز وجل بها في كتابه العزيز بالنصر والتمكين؛ إن صدَّقناه ـ سبحانه ـ ونصرناه جل وعلا.

وإنه لمن العجب أننا ومع كثرة هذه الوعود، وصدق تحققها واليقين التام بوقوعها إلا أننا مازلنا نعيش ذلًا وخزيًا في عالمنا اليوم.

والسبب في ذلك أننا لم نفهم حقيقة وعد الله جل وعلا، ولم نتعامل حقيقة مع هذا الوعد بيقين تام، وتصديق مطلق، ولم نبذل الأسباب التي يحصل لنا بها ذلك الوعد الذي وعدنا الله جل وعلا به، فلحصول هذا الوعد لابد أن نأتي بشروطه، ومتى ما أتيْنا بتلك الشروط تحقق لنا وعد الله جل وعلا، كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ النور [٥٥].

فالنصر آتٍ لا محالة، ولكن لابد من الأخذ بأسبابه مع الثقة التامة بوعد الله جل وعلا، وأنه حاصل لا محالة، وإن طال الزمان فلن يذهب الليل والنهار، حتى يمكِّن الله لدينه، وينصر أولياءه، ويجعل كلمته هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَن

يحُقَّ الحقَّ بكَلِماتِهِ وَيَقْطَعَ دابِرَ الْكَافِرِينَ @ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ المجْرِمُونَ﴾ الأنفال [٧-٨].

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ الله بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى الله إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ @ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المشْرِكُونَ﴾التوبة[٣١-٣٢].

وأخرج أحمد في «مسنده» من طريق صفوان بن مسلم، قال: حدثني سليم بن عامر عن تميم الداري، قال: سمعت رسول الله e يقول: «**ليبلغَنَّ هذا الأمرُ ما بلغ الليلُ والنهارُ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزًّا يعز الله به الإسلام وذلًّا يذل الله به الكفر**»، وكان تميم الداري يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافرًا الذل والصَّغَار والجزية.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

والحق منصورٌ وممتحن فلا ... تعجب فهذي سنة الرحمن

وبذاك يظهر حِزْبُهُ من حَرْبِهِ ... ولأجل ذاك الناس طائفتان

ولأجل ذاك الحرب بين الرسل والـ ... كفار مُذْ قام الورى سجلان

لكنما العقبى لأهل الحق إن ... فاتت هنا كانت لدى الديان

ولكن كما تقدم، وكما قال ابن تيمية رحمه الله: [الالتفات إلى الأسباب

شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقصٌ في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع][1]، فلابد أن نأخذ بالأسباب عباد الله، وأن نثق بنصر الله عز وجل لنا، ولابد أن نتعامل مع الأحداث بهذه الثقة التامة مهما كثر الخبث، ومهما صال الباطل وجال، فإن صولته ساعة، وصولة الحق إلى قيام الساعة، فمهما أرغى الباطل وأزبد، وظهر لأول وهلة أنه قوي متماسك، فما يلبث أن تنكشف حقيقته ويخور أمام قوة الحق، وثبات أهله على مبادئهم التي لا تتغير بتغير المواقف، فأهله لا يعطون الدنية في دينهم، ولا يغيرون مسلمات الإسلام؛ لأجل طاغوت، ولا غيره، مهما أرغى وأزبد الأعداء، ومهما كانت ضغوط الواقع، وسياسات الدول،فالحكم لله العلي الكبير دائمًا وأبدًا، فلابد إذن من نبذ هذه الانهزامية في التعامل مع الأحداث، ولنتعامل تعاملًا يدل على ثقتنا بنصر الله جل وعلا، وامتلاء قلوبنا يقينًا بحتمية الصراع بين الحق والباطل، ولكن العاقبة للمتقين، وحزب الله المؤمنين. كما قال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ الله الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ الله الأَمْثَالَ﴾ الرعد [١٧].

وكما قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَه رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا

(١) مجموع الفتاوى ج ١ ص ١٣١ .

أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ الله وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُواْ والله يُحِبُّ الصَّابِرِينَ@ وَمَا كَانَ قَوْلَهُم إِلاَّ أَن قَالُواْ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّت أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ @ فَآتَاهُمُ الله ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَالله يُحِبُّ المحْسِنِينَ﴾ آل عمران [١٤٦-١٤٨].

ونقول كما قال الشاعر :

قل لمن قام للإسلام يغلبه إن كنت ريحًا فقد لاقاك إعصار

وكما قال ابن القيم:

لا تخش كثرتهم فهم همج الورى وذبابه، أتخاف من ذُبَّان؟!

وكما قال قائلهم لله دره!

كنا جبالًا في الجبال وربما سرنا على موج البحار بحارا

لن تنس أفريقيا ولا صحراؤها سجداتنا والأرض تقذف نارا

كنا نرى الأصنام من ذهب فنهدمها ونهدم فوقها الكفارا

لو كان غير المسلمين لحازها كنزًا وصاغ الحلي والدينارا

فإذا رأيت ـ عبد الله ـ الأمم قد تكالبت علينا، وكثر الفساد، وعَمَّ واستشرى في كل مكان؛ فليزدد رصيد اليقين، والثقة بالله جل وعلا في قلبك، فأنت على موعد من الله جل وعلا بالنصر والتمكين، وهو الذي لا يخلف الميعاد، فمهما رأينا من عدة الأعداء، وعددهم، وكثرة أموالهم،

وقدراتهم، فإنها ليست بشيء إن صدقنا الله تعالى، فالله تعالى يقول:﴿والله غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾يوسف [٢١]. وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ الله فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ @ لِيَمِيزَ الله الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىَ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُون﴾ الأنفال [٣٦، ٣٧].

فعليك إذن بزيادة العمل، ولا يهولنك الأمر؛ فتقعد يائسًا حسيرًا، بل شمر عن ساعد الجد، واعلم أن وراء كل عسرٍ يسرًا، وأن المرأة عندما يصل بها الطلق والألم غايته، يأتيها الفرج من قريب، بإذن الله السميع المجيب.

فمن رحم الظلام يخرج النور، والليل إن تشتد ظلمته فإن الفجر لاح، وليس شرطًا أن ترى أنت نصر الله لدينه، ولكن عليك بالعمل الجاد؛ لنصرة هذا الدين، أما النصر فقد يراه أجيالٌ وأجيالٌ من بعدنا، إلا أنه قد امتلأت نفوسنا ـ بحمد الله تعالى ـ يقينًا بحتمية وقوع ذلك، فلنشرف أنفسنا بالسير في هذا الركب المبارك لنصرة هذا الدين العظيم، كما قال تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ @ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ @ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِي إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الزخرف [٤١-٤٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن

جِئْتَهُم بِآيَة لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ @ كَذَلِك يَطْبَعُ الله عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ @ فَاصْبِرْ إِن وَعْدَ الله حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ الروم [٥٨-٦٠].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ الله كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى الله قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ الله فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ الصف [١٤].

فاعلم عبد الله أن هذا الدين منصور لا محالة، وأنه إن لم يحمله العرب حمله العجم، وإن لم يحمله العجم، فليحمله من شاء الله من عباده، إلا أن النصر آت لا محالة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي الله بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ والله وَاسِعٌ عَلِيمٌ @ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ الله وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ @ وَمَن يَتَوَلَّ الله وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الْغَالِبُونَ﴾المائدة [٥٤-٥٦].وقال تعالى:﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ محمد [٣٨].

إن هذه الثقة بنصر الله تعالى، وتحقق وعده؛ من أعظم ما يحث المسلم على العز، والعمل على نصرة هذا الدين، ونبذ التبعية، والانهزامية أمام الأعداء، مهما كثروا، وتكالبوا، وتحزبوا؛ فإن وعد الله كائن لا محالة، ونصره آت من قريب بإذنه جل وعلا.

وإن من الحقائق التي لا بد أن نفقهها، أن أعداءنا يعلمون بانتصار هذا الدين وأتباعه، ولكن يعلمون أيضًا ما هي صفات الذين سينتصر بهم هذا الدين؛ ولهذا هم يعملون على تأخير هذا النصر، كما يزعمون؛ وذلك بالكيد للمسلمين من خلال تزييف عقائدهم، وتشكيكهم في دينهم، وغمسهم في الشهوات، والشبهات.

ولكن علينا أن نعلم أن النصر لا يتأخر أبدًا، وإن قال هذا البعض؛ فمتى ما توفرت أسباب النصر ومقوماته جاء نصر الله مباشرة، ولكن العيب والخلل فينا، والتقصير والتأخر منا، وإلا فالله أعلى وأجل.

فانفضوا عنكم غبار الدعة والسكون، وارفضوا شعار الذل والهوان، واعملوا لنصرة هذا الدين، فعند كل واحد منا ما يقدمه لهذا الدين العظيم، فما بقي إلا أن تفتش في نفسك ما الذي بإمكانك أن تقدمه لدين الله تعالى، فالله الله أن يؤتى الإسلام من قبلك.

وما أحسن ما قاله المتنبي:

عجبت لمن له حد وقد ... وينبوا نبوة القضم الكهام

ومن يجد الطريق إلى المعالي ... فلا يذر المطي بلا سنام

ولم أر في عيوب الناس عيبًا ... كنقص القادرين على التمام

ولنقل كما قال الصحابة الكرام يوم الخندق يوم الأحزاب عندما اشتد الأمر ورمتهم العرب عن قوس واحدة، فما زادهم إلا إيمانًا وتسليمًا، قال الله تعالى: ﴿¼ãÈqÈ3 ‘r ª! $$R‰ãr $B #‹»d ¥qÈ% > #“ôÜÈ{ $bqÈBs3È% #ä‘ $£9r﴾

الأحزاب [٢٢_٢٧] فقال تعالى في وصفهم ونصرهم بعدها مباشرة.

@@@

خامسًا: عظمة التاريخ، وخطورته

لنا أمة الإسلام تاريخ عظيم سطرته الدنيا بمداد من نور، تاريخ إمامه، وقائده، وفارسه الفذ الفريد سيد ولد آدم نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، تاريخ سطرته بطولات الصحابة،حتى تشرف الزمان كله بمثل هذا التاريخ التليد العظيم، هذا التاريخ الذي يحكيه الزمان، وتشهد له الأجيال بالعز، والكرامة قرنًا بعد قرن، وجيلًا بعد جيل، تشهد له الأمم قاطبة ـ حتى الأعداء ـ بالصدق والثبات، إنه سيرة النبي المبارك المختار وصحابته الكرام الأبرار، تاريخ مليئ بالعظات، والعبر، والشجاعة، والرجولة، والإقدام، تاريخ لو أننا رجعنا إليه واستقينا ما فيه من القيم العظيمة، والمواقف الجليلة؛ لما كان هذا حالنا، ولما تسلط علينا أعداؤنا، فنحن أمة العزة والكرامة، أمة الجهاد والمجاهدة، والصبر والمصابرة، أمة لا تعرف اليأس، ولا تقر الذل، ولا تعطي الدنية في دينها.

يحكي لنا هذا التاريخ المجيد الثبات العظيم على المبادئ الإسلامية المقدسة، تلك المبادئ التي ضحى الأبطال من أجل قيامها بالغالي والنفيس؛ فاسترخصوا الأموال، والأولاد، بل والأنفس في سبيل إعلائها، وتشييدها، وتثبيتها؛ لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، وحتى لا يكون في الأرض سلطان غير سلطان الله الواحد القهار.

ولكن عباد الله متى نرجع إلى هذا التاريخ؛ لنقرأه بتمعن وتدبر لاستنباط المعاني العظيمة التي كانت في سيرة الرسول e، وصحابته الكرام؟ متى نرجع إلى تلك المواقف البطولية التي سطرها الصحابة، وعاشوها على أرض الواقع؟ متى نرجع إلى السيرة النبوية والحنكة الصديقية، التي ظهرت في مواقفه العظيمة، وثباته الكبير أمام المحن العظيمة عندما مات النبي e، وارتد من ارتد من العرب، وعند تسيير جيش أسامة في أحلك الظروف، وأشد المحن التي مرت على الإسلام، والمسلمين بعد موت نبي الهدى والرحمة عليه الصلاة والسلام ؟ ومتى ننظر في السياسة العمرية التي قاد بها أمة الإسلام رضي الله عنه وأرضاه ؟ متى نرجع إلى سير الصحابة الكرام الأبطال الأفذاذ من أمثال عثمان بن عفان ذي النورين، وعلي بن أبي طالب الشجاع الكبير المطالب، وغيرهم من الصحابة الكبار العظام رضي الله عنهم وأرضاهم؛لنعرف أحوالهم كبارًا وصغارًا، ذكورًا وإناثا، لنأخذ منها المعاني العظيمة ؟ التي ما كانت لتكون على الرفوف، وفي طَيَّاتِ الكتب، وما كانت لتروى للتفكه والسمر، والتأسف والتألم فحسب، وإنما كانت لتكون برهانًا واقعيًّا، وحجةً من الله علينا في تطبيق شرع الله من عدمه، والقيام بهذا الدين العظيم.

إن هذا التاريخ عباد الله له رصيدٌ عظيمٌ في القلوب، وإنه لمن الظلم العظيم أن نرى من المسلمين من يتفقه على تاريخ بريطانيا، وأمريكا، وروسيا، والصين، وغيرها من بلاد الكفر، والصليب، بل ويحفظ الكثير الكثير عن هؤلاء الطواغيت وغيرهم، في حين أنه لا يكاد يعرف إلا نزرًا

يسيرًا عن هؤلاء الصحابة الكرام الأبطال الكبار، حتى إنه أصبح الآن ليس بمستغرب في بعض بلاد المسلمين أن تسأل بعضهم عن أسماء عظماء الإسلام، من أمثال الخلفاء الأربعة الراشدين، والعشرة المبشرين بالجنة؛ فلا تجد من يجيب إلا من رحم الله، بل ولو سألت عن شيء من سيرة النبي e وجهاده؛ لضرب الكثير أخماسًا بأسداس، ولَقَلَّبُوا أيديهم؛ فلا يعون من ذلك شيئًا إلا من رحم الله، فلا حول ولا قوة إلابالله العلي العظيم من هذا الغياب الكبير عن أعظم تاريخ عرفه الزمان.

إن هذا التاريخ العظيم لهذه الأمة الخاتمة لو كان لأي أمة من الأمم؛ لتبجحت به، واعتزت، ورفعت رأسها شامخًا، تنادي بالعودة إليه، ولَنُظِمَت الأقوال، والأشعار في بيانه، وتمجيده، وكيف وهو لنا؟ فأين نحن عن هذا التاريخ العظيم ؟!

نحن أمة لها تاريخ مشرق مجيد لابد أن نرجع إليه، ونستقي منه فكتب الحديث، وآثار الصحابة تحكي تاريخ وحياة أعظم قدوة على الإطلاق نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وآثار التابعين رحمهم الله تعالى تحكي لنا تاريخ أفضل أتباع الرسل الصحابة الكرام البررة رضي الله عنهم وأرضاهم؛ فمتى نرجع إلى تلك الموروثات الجليلة العظيمة؛ حتى نطبقها ونعمل بها في واقعنا؟.

أقول عباد الله: إن الرجوع إلى التاريخ، ومعرفة ما جرى مع النبي e، وصحابته الكرام البررة، لهو من أكبر العوامل التي تعين العبد على الثبات، والاستعلاء بإيمانه، والسير قدمًا على نهج النبي e، وإن الرجوع إلى تاريخ

الصالحين، والاقتداء بهم، والتماس الصبر، والسلوان من خلال النظر في ما جرى عليهم، هو من هدي النبي e كما أخرج البخاري في «صحيحه» عَنْ أبي عبد الله خباب بن الأرت رَضِيَ الله عَنْهُ قال: شكونا إِلَى رَسُول الله e وهو متوسد بردة له في ظلِّ الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: «**قد كان منْ قبلكم يؤخذ الرجل، فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمِنْشار، فيوضع عَلَى رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يصده ذلك عَنْ دينه! والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب مِنْ صنعاء إِلَى حضرموت لا يخاف إلا الله، والذئب عَلَى غنمه. ولكنكم تستعجلون!**» **رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وفي رواية: «وهو متوسد بردة، وقد لقينا مِنْ المشركين شدة».**

فهاهو النبي e عندما شكى إليه الصحابة رضي الله عنهم ما يجدونه من الجهد الشديد، والأذى العظيم من الكفار من تضييق، وتعذيب، ومن تكالب أمم الأرض كلها عليهم حتى رموهم عن قوس واحدة على قلة عددهم وضعف شوكتهم؛ فردهم النبي e إلى تاريخ الصالحين من قبلهم، وبين لهم أن هذه سنة لله جارية في عباده الصالحين، ولكنها ما تلبث أن تنقشع أمام صلابة إيمانهم، وثباتهم على مبادئهم، واستعلائهم بإيمانهم؛ حتى تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، كماقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ المجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ محمد [٣١].وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ الله أَلا إِنَّ نَصْرَ الله قَرِيبٌ﴾ البقرة [٢١٤].

وقوله تعالى: ﴿الٓمٓ @ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ @ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ الله الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ العنكبوت [١-٣].

فوعد الله حاصل لا محالة. ولقد قص الله تبارك وتعالى علينا القصص في كتابه العزيز، مما جرى على الأمم السابقة؛ لنتعرف على ذلك، ونستقي منه الهدايات، والعبر، والمواعظ كما قال تعالى: ﴿الٓرٓ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ المبِينِ @إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ @ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ يوسف [١-٣].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يوسف [١١١].

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ هود [١٠٠].

وقوله تعالى: ﴿وَكُـلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَـذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ هود [١٢٠].

إذن إذا أردنا عزتنا، فلابد أن نرجع إلى هذا الماضي العظيم، فننظر في تاريخ الرعيل الأول رضي الله عنهم وأرضاهم، وأن نحول واقعهم الذي عاشوه إلى واقع نعيشه نحن أيضا؛ مهما تكالبت الأعداء علينا، أو توجهت الأنظار، والأقوال إلينا بالسخرية، والاستهزاء؛ فالواجب علينا أن لا

نكترث لهذه الترهات كلها، وأن نرفع رأسنا شامخًا فرحين بفضل الله علينا أن مَنَّ علينا بهذا التاريخ العظيم؛ فنرتفع به على سائر الأمم، فإن في تاريخنا من أخبار الكرامة والعزة ما لا يحويه تاريخ من قبل بحال من الأحوال؛ فهاهي أخبار العلماء الصادعين بالحق، والحفاظ، والعباد، والزهاد، والكرماء، والشجعان، والأبطال، والسلاطين الفاتحين، والأئمة المتبوعين.

ولكن أين من يقرأ ليعمل، ويتفكر ليعتبر؟ فإن بني عمك فيهم رجال، ولكن الله المستعان، ولهذا لما حصل هذا الخلل، والإعراض عن هذا التاريخ المجيد، وفهم حقائق هذا الدين العظيم، واستشعار العز والكرامة، والاستعلاء به؛ ظهر بين المسلمين من يتنكر لهذا الدين، بل لربما استحيى من الانتساب إليه، وإلى حقائقه، ومبادئه التي لا تتغير، ولا تتبدل بتغير الزمان، والأحوال، وظهرت طوائف أخرى تلوي أعناق الأدلة، وتقلب الحقائق الإسلامية، وتزيفها، وتتنصل من الصدع بشرف، واعتزاز بحقائق الإسلام؛ إرضاءً للشرق أوالغرب، وارتماءً في أحضانهم، في انهزامية منقطعة النظير، بل إن الأمر وصل عند بعضهم إلى أن يُكَذِّبَ، ويرد بعض الأحاديث الصحيحة، والآيات الصريحة الدلالة، قائلا بعضهم بلسان حاله، وبعضهم بلسان مقاله: ماذا نقول للغرب إن سألونا عن هذه الآيات والأحاديث؟ كيف نرد عليهم ؟

والله إنها لثالثة الأثافي، وقاصمة الظهور يوم أن نتنكر لمسلماتنا، ونغير مبادئنا نحن أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله، من أجل أقوام ما لهم عند الله من خلاق.

ونحن نقولها بكل صراحة، وثبات، ويقين: إنه لو اجتمعت الإنس والجن

على أمر فيه خلاف شرعنا؛ لما استحيينا من الجهر بحقائق ديننا، استعلاء بإيماننا، واعتزازا بمبادئنا، ولنا في ذلك الشرف كل الشرف، وسنستعلي بذلك على سائر الأمم، وسنصدع به على منابر الزمن، ليسمعه الداني، والقاصي.

فنحن أمة تعبد ربها وحده لا شريك له، ولا تجامل، ولا تداهن، ولا تحابي، ولا تعطي الدنية في دينها، ولا ترتضي بالذل، والهوان مهما كانت التكاليف، ولكن متى نعي هذا، ومتى نستعلي بتاريخنا، وإيماننا؟ هذا هو دين الله الذي ارتضاه لنا من فوق سبع سماوات، كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ المائدة [٣].

أفلا نعتز به، ونرتضيه لأنفسنا، وأن ندخل فيه كافة، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ @ فَإِن زَلَلْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُواْ أَنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ البقرة [٢٠٨- ٢٠٩].

هذا هو ديننا، وهذه هي مبادئه، وهذه هي مسلماتنا التي لا تتغير ولا تتبدل، فإما أن نرفع رءوسنا به، ونرتضيه لأنفسنا، وإلا كانت الهلكة، والخسارة، والعياذ بالله.

وإن ما نحن فيه اليوم من التخلف، والتقهقر ما هو إلا بسبب عدم الفهم الحقيقي لحقائق هذا الدين؛ ولهذا كثر فينا الكتاب الانهزاميون، والإعلاميون الانهزاميون، وكثر فينا التخليط، والتخبط، ومن يحاول بشكل أو بآخر أن يتنصل عن حقائق الإسلام، وأن يتنكر لمبادئه العظام؛

وذلك بسبب الذل والخور، الذي سكن في تلك القلوب المريضة، التي لم تستنر بنور الإيمان، ولم تستعل بالإسلام؛ لأنها أصلا لم تعيه حق الوعي، ولم تفهمه بعد، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فقد تكلمت الرويبضة في هذا الزمان، وأخذوا ينسبون ساقط أقوالهم، وحثالة أفكارهم وآرائهم، ونحاتة عقولهم إلى الكتاب والسنة، زورًا وبهتانا، وتنصلا من الصدع بكلمة تجرح مشاعر العدو، أو تظهرنا أمامهم بالمظهر غير اللائق في أنظارهم، ولو كان ذلك على حساب الكتاب والسنة، ومقدرات المسلمين، ومكتسباتهم، وتاريخهم المجيد.

وتعظم المصيبة والفتنة بأمثال هؤلاء عندما يغتر الناس بما معهم من الألقاب، والأوسمة، والشهادات فهذا وزير، وذاك أمير، وذاك بروفسير، وهذا دكتور، وهكذا يطرح الناس الكتاب والسنة، وفهم سلف الأمة الأطهار الأخيار، ويأخذون بأقوال هؤلاء المفتونين؛ فينبهرون بلحن قولهم وحثالة أفكارهم، ونحاتة عقولهم، فإياكم وإياهم، فإنهم فتنة لكل مفتون. نسأل الله العافية والسلامة منهم، ومن أمثالهم.ولهذا قال محمد بن سيرين: (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم). أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفي «صحيح الإمام مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: «**سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم. فإياكم وإياهم**». وفي رواية: «**يكون في آخر الزمان دجالون كذابون. يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم. فإياكم**

وإياهم! لا يضلونكم، ولا يفتنونكم».

ولما شعر الأعداء بخطورة تاريخنا المجيد، وأنه تاريخ كفيل بإذن الله تعالى أن يصنع جيلًا فريدًا، وأن يحيي أمةً نامت لفترة من الزمان، وأن يخرج رجالًا من طراز فذ عجيب،حاولوا جاهدين أن يزوروا حقائق هذا التاريخ، ويبدلوا فيه بالزيادة، والتحريف، والنقصان، والتأويلات الفاسدة، والطعن في النوايا، وصرف الحقائق عن وجهها المشرق الوضاء، فانبرى أهل العلم لذلك، وأثبتوا تاريخًا عظيمًا، سطرته يد الكرامة الشجاعة، والبسالة.

فعودًا معاشر المسلمين والمسلمات إلى تاريخكم المجيد، تعرفوا عليه بحق، واعملوا بمقتضاه، فإن أبيتم فاحذروا من قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾النساء [١١٥] ولا تنسوا قول الله جل وعلا: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَيَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ محمد [٣٨].

وما أحسن ما قال الشاعر:

نحن أمة تاريخها ذو خطر لو تأملناه ما كان الخطر

@@@

سادسًا: تميزُ المسلم بشخصيته، وطريقة حياته، ومنهجه

أنت أيها المسلم فذ فريد، عظيم المكانة عند الله تبارك وتعالى، فأنت عند الله أعظم حرمة من الكعبة المشرفة،دمك غال نفيس، وحياتك متميزة، ومنهجك مرسوم لك بكل وضوح وبيان؛ قد وضح معالمه كتاب الله تعالى، وقدوتك فيه رسول الله e ، وصحابته الكرام البررة؛ فلابد أن تستعلي بهذه الشخصية العظيمة المنفردة في لباسها، وفي هيئتها، وفي مظهرها العام. بل وفي طريقة تفكيرها، وأسلوب حياتها، فهذا من أهم الأمور التي يجب أن يستعلي بها المسلم على سائر أمم الكفر في مشارق الأرض، ومغاربها.

فهو المسلم أينما رأيته عرفته بتميزه، واستقلاليته، واعتزازه بدينه ومبادئه، فلا تراه إلا مخالفًا لمن سواه من الكافرين، والمشركين، فلا يتشبه بهم لا في مبادئهم، ولا في طريقة حياتهم، ولا أسلوب تفكيرهم. بل ولا حتى في لباسهم.

لسان حاله يقول: أنا المسلم الذي يعبد الله ربًّا، واحدًا أحدًا، ونبيي هو محمد e خير خلق الله هو أسوتي، وإمامي، وقائدي. وديني هو الإسلام خير الأديان، قد رضيه لي رب الأنام، فكيف أرتضي أن أتشبه بإخوان القردة والخنازير، ومن لا خلاق لهم ؟ كلا، والذي نفسي بيده لا يكون هذا أبدًا بإذن الله تعالى، وفي الجسد نفس يتردد، وقلب ينبض، والله المستعان، وعليه

التكلان.

ولهذا حرص النبي e أن يرسخ هذه القضية لدى أصحابه، والأمة من بعدهم، فأوصاهم، وحثهم، وأمرهم أن لا يركنوا إلى الظالمين طرفة عين لا مظهرًا، ولا مخبرًا، كما قال تعالى: ﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ الله مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾ هود [١١٣].

وطبق ذلك النبي e تطبيقًا عمليًّا، فعمد إلى مخالفتهم في كل صغير وكبير، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وقد بين الله تعالى أن الكفار يتمنون، ويفرحون أن لو تنازلنا، ولو شيئًا يسيرًا عن مبادئنا الإسلامية، فقال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ المكَذِّبِينَ @ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ @ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ @ هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ @ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ @ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ القلم [٨-١٣]. نعم ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾، نعم إنهم يتمنون ذلك، وتنشرح صدورهم به.

وقال تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلًا @ وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا @ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ المَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ الإسراء [٧٣-٧٥].ولهذا نهى الله تبارك وتعالى عن مجرد الركون إليهم، بل وأمر بوجوب مفارقتهم،ومزايلتهم حال خوضهم الباطل، كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ الله يُكفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ

إِنَّ الله جَامِعُ المَنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ النساء [١٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الأنعام [٦٨].

كل هذا وغيره كثير مما يأمر فيه الله تبارك وتعالى المسلم أن يكون متميزًا مستقلًا عن أعداء الله، قال تعالى: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال:٤٢] ولتستبين سبيل المؤمنين، من سبيل الكافرين، والفاجرين؛ ولهذا كان من أعظم شعائر هذا الدين ومبانيه العظام عقيدة الولاء والبراء، التي لا تقوم للإيمان قائمة في قلب العبد بدونه، وهذه العقيدة هي التي تبعث روح العزة، والتميز لدى المسلم المستعلي بإيمانه؛ ولهذا أبدى الشارع الحكيم فيها، وأعاد، وجاءت الآيات المتكاثرة، والأحاديث المتظافرة، للتأكيد على هذا المعنى العظيم، وترسيخًا لهذه القضية الكبرى، كما قال تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِالله فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا والله سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة [٢٦٥].

وقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ الله وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الله أَلَا إِنَّ

حِزْبَ الله هُمُ المفْلِحُونَ﴾ المجادلة [٢٢].

وفي «صحيح الإمام مسلم» من حديث أبي مالك الأشجعي، قال: قال رسول الله ﷺ: « **مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاّ الله، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله، حَرُمَ، مَالُهُ وَدَمُهُ. وَحِسَابُهُ عَلَى الله** ».

وجاءت الأوامر الصارمة في مفارقة أعداء الله ـ تعالى ـ وعدم التشبه بهم، وعدم مساكنتهم، والمكوث معهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الملآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ الله وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا @ إِلاَّ المسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلًا @ فَأُوْلَـئِكَ عَسَى الله أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ الله عَفُوًّا غَفُورًا﴾ النساء [٩٧-٩٩].

وفي «الصحيحين» عن ابن عباس t في ذكر آخر وصايا النبي e وأنه قال: « **أَخْرِجُوا المشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ** ».

وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب t أنه سمع رسول الله e يقول: «**لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب. حتى لا أدع إلا مسلمًا**».

وأخرج الترمذي وأبو داود وغيرهما من حديث جَرِيرِ بنِ عبدِ الله: « أنّ رسولَ الله e بَعَثَ سَرِيّةً إلى خَثْعَمٍ، فاعْتَصَمَ ناسٌ بالسّجُودِ فأسْرَعَ فيهم القَتْل فَبَلَغَ ذلكَ النّبيّ e فأمَرَ لهم بِنِصْفِ الْعَقْل» وقال: «أنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلّ

مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشرِكِينَ»، قالوا: يَا رسولَ الله! وَلِمَ؟ قال: «لا تَرَاءَى نارَاهما»[١].

وقد أمعن النبي e في مخالفة أعداء الله، حتى صار ذلك واضحًا جليًّا، فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَنّ الْيَهُودَ كَانُوا، إِذَا حَاضَتِ المرْأَةُ فِيهِمْ، لَمْ يُؤَاكِلُوهَا وَلَمْ يُجَامِعُوهُنّ فِي الْبُيُوتِ، فَسَأَلَ أَصْحَابُ النّبِيِّ e النّبِيَّ e. فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ المحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النّسَاءَ فِي المحِيضِ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ (البقرة الآية: ٢٢٢) فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اصْنَعُوا كُلّ شَيْءٍ إِلاّ النّكَاحَ**» فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ فَقَالُوا: مَا يُرِيدُ هَذَا الرّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلاّ خَالَفَنَا فِيهِ، فَجَاءَ أَسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَعَبّادُ بْنُ بِشْرٍ فَقَالاَ: يَا رَسُولَ الله! إِنّ الْيَهُودَ تَقُولُ: كَذَا وَكَذَا. فَلاَ نُجَامِعُهُنّ؟ فَتَغَيّرَ وَجْهُ رَسُولِ الله e حَتّى ظَنَنّا أَنْ قَدْ وَجَدَ عَلَيْهِمَا، فَخَرَجَا فَاسْتَقْبَلَهُمَا هَدِيّةٌ مِنْ لَبَنٍ إِلَى النّبِيّ ﷺ. فَأَرْسَلَ فِي آثَارِهِمَا، فَسَقَاهُمَا، فَعَرَفَا أَنْ لَمْ يَجِدْ عَلَيْهِمَا[٢].

وعن ابن عمر، عن النبي e قال: «**خالفوا المشركين: وفروا اللحى، وأحفوا الشوارب**»[٣].

وفي «الصحيحين» عن سعيد بن يزيد الأزدي، قال:سألت أنس بن مالك: أكان النبي e يصلي في نعليه؟ قال: نعم.

وروى أبو داود والحاكم من حديث شداد بن أوس مرفوعًا « **خالفوا**

---

(١) ولكن صحح البخاري وأبو حاتم وأبو داود والترمذي والدارقطني إرساله .
(٢) أخرجه مسلم .
(٣) متفق عليه .

اليهود؛ فإنهم لا يصلون في نعالهم، ولا خفافهم » وظاهر إسناده الحسن.

وفي «مسند» الإمام أحمد عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ يقول: خرج رسول الله e على مشيخة من الأنصار بيض لحاهم فقال: «**يا معشر الأنصار، حمروا، وصفروا، وخالفوا أهل الكتاب**» قال: فقلنا: يا رسول الله! إن أهل الكتاب يتسرولون، ولا يأتزرون فقال رسول الله e : «**تسرولوا، وائتزروا، وخالفوا أهل الكتاب**» قال: فقلنا: يا رسول الله! إن أهل الكتاب يتخففون، ولا ينتعلون قال: فقال النبي e : «**فتخففوا، وانتعلوا، وخالفوا أهل الكتاب**» قال: فقلنا: يا رسول الله! إن أهل الكتاب يقصون، عثانينهم، ويوفرون سبالهم قال: فقال النبي ﷺ: «**قصوا سبالكم، ووفروا عثانينكم، وخالفوا أهل الكتاب**». **وسنده جيد.**

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: « **بعثت بالسيف، حتى يعبد الله لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم**» (١).

قال ابن تيمية معلقًا على هذا الخبر: (**وهذا الحديث أقل أحواله أنه يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم كما في قوله:**﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ المائدة [٥١] **وهو نظير ما سنذكره عن عبد الله بن عمرو أنه قال: من بنى بأرض المشركين، وصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت، حشر معهم يوم القيامة**) (٢) **اهـ.**

---

(١) أخرجه أحمد ، وسنده حسن.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم .

والأحاديث الدالة على هذا الأصل العظيم كثيرةٌ جدًّا، وقد أفرد لها الإمام البحر الحبر العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية مؤلفًا كاملًا حَرِيٌّ بنا أن نقرأه، ونتمعن فيه أسماه: «اقتضاء الصراط المستقيم، لمخالفة أصحاب الجحيم» قرر فيه هذه المقامات الكبيرة، وذكر فيه جملة من الآيات، والأخبار، والآثار فيما يتعلق بوجوب استقلالية المسلم عنهم، وتميزه واعتزازه بربه، وبدينه، وبنبيه e، وقد تكلم فيه، وأفصح، وبين بما لا مزيد عليه من كلام الناس اليوم، حتى في أدق التفاصيل فيما يتعلق بلغاتهم، وأشكالهم، وهيئاتهم، وتوليتهم المناصب، والأعمال، وغير ذلك، وأحيلك أخي القارئ الكريم على هذا السفر العظيم في بابه.

نعم هكذا تكون شخصية المسلم المتميزة الواضحة المعالم في كل شئون حياتها، فالمسلم الحق هو صاحب الاستقلالية التامة عن أعداء الله تعالى، وهو صاحب الحظ الأوفر من العزة، والكرامة، والتمكين. أما المنهزمون اللاهثون وراء الغرب، فهؤلاء لا حظ لهم من هذه العزة، بل هم الأذلون الخاسرون، هذه هي سنة الله ـ تعالى ـ في أمثال هؤلاء. قال، تعالى: ﴿بَشِّرِ المنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا @ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ المؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لله جَمِيعًا﴾ النساء [١٣٨-١٣٩].

@@@

سابعًا: التزكيةُ الرَّبانيةُ للمنهج

إن من أعظم ما يبعث على استشعار العزة، والاستعلاء بالإيمان، تلك التزكية الربانية لهذا المنهج القويم، والصراط المستقيم، الذي أثنى الله تعالى عليه من فوق سبع سموات، وحث عباده على السير فيه وسلوك طريقه حيث قال، تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فتفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأنعام [١٥٣]. وبين ـ تبارك وتعالى ـ عظمة ذلك الصراط بقوله:﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى الله رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ هود [٥٦]. وقوله تعالى: ﴿والله يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يونس [٢٥].وقوله تعالى:﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ الله النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى الله الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ والله يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾البقرة [٢١٣].

وبين ـ تبارك وتعالى ـ أن الهدى التام في سلوكه، واتباعه فقال، عز من قائل عليمًا: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ الله وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِالله فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ آل عمران [١٠١].

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ الله نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ @ يَهْدِي بِهِ الله مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ المائدة [١٥-١٦].

وهو ملة أبينا إبراهيم ونبينا الأمين ـ عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ هذا هو صراط الله المستقيم فقال، تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لله حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ@ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ@ وَآتَيْنَاهُ فِي الْدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ النحل [١٢٠-١٢١]. وقال، تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ @ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ @ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ @قُلْ أَغَيْرَ الله أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾الأنعام [١٦١-١٦٤].

وقال، تعالى: ﴿يس @ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ @ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ @ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ @ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ يس [١-٥]. وهو دعوة الأنبياء والمرسلين كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ @وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾ المؤمنون [٧٣-٧٤].

ولهذا امتن ـ الله تعالى ـ بهذا الصراط على عباده، وبين أنه من أعظم نعمه

عليهم حيث قال، تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ @ صِرَاطِ الله الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى الله تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ الشورى [٥٢-٥٣].

ولهذا أمر الله ـ تبارك وتعالى ـ عباده بالحرص عليه والاعتزاز والاستمساك به فقال، تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ @ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ @ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُون﴾ الزخرف [٤٣-٤٥]. وبيّن تعالى أنهم ليسوا سواء فقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الملك [٢٢]. وقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ الله مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَىَ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم﴾ النحل [٧٦]. وبين ـ تبارك وتعالى ـ أن هذا هو الطريق الذي سلكه الأنبياء، والمرسلون، والأولياء، والصالحون، والشهداء، والمتقون فقال، تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ الله وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقًا﴾ النساء [٦٩].وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ @وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلًا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوب وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي المحْسِنِينَ @ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى

وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ @ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ @ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُم وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ @ ذَلِكَ هُدَى الله يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ @أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِين @ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى الله فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ الأنعام [٨٣-٩٠].

ولهذا أمر الله ـ تبارك وتعالى ـ عباده أن يسألوه الهداية إلى هذا الطريق؛ حتى صار فرضًا على العباد أن يقرءوا في جميع صلواتهم سورة الفاتحة، وفيها قوله، تعالى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ @ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ الفاتحة [٦-٧]، والآيات في هذا الباب كثيرة جدًّا، وكل هذا مما يؤكد أن هذا الطريق ليس بمبتذل، بل هو غال نفيس ليس بمعوج، بل هو الصراط المستقيم، والنور المبين فعلينا جميعًا أن نعتز به، وأن نسير في ركابه، مهما كانت الظروف والتبعات، ولا يهولنك كثرة المخالفين، وتكالب الباطل، وقلة السالكين، بل علينا أن نمضي قدمًا، حتى نلقى الله ـ تبارك وتعالى ـ على هذا المنهج الرباني، فتكون النجاة بإذن الله تعالى، ولا تحزن أخي من كثرة المشنعين، والمستهزئين. فإن الحق يعلو ولا يعلى عليه.

وقد أخبرنا النبي e عن غربة هذا المنهج في آخر الزمان، وأنه سيعود

غريبًا بين العباد، إلا أنه e بشر أن هناك طائفة لن تزال مستمسكة به ثابتة عليه مجاهدة دونه كما في «الصحيحين» من حديث المغيرة بن شعبة t قال: قال النبي e: «**لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ يضرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ. حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله، وَهُمْ كَذَلِك**».

وفي «صحيح الإمام مسلم» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ t قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا. فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**».وفيه عن ابْنِ عُمَرَ t ، عَنِ النَّبِيِّ e قَالَ: «**إِنَّ الإِسْلاَمَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ. وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ المَسْجِدَيْنِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا**».

وفي «سنن الترمذي» عن أبي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ قال: أَتَيْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيَّ t فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ تَصْنَعُ فِي هَذِهِ الآيَةِ؟ قال: أَيَّةُ آيَةٍ؟ قلت: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ **قال: أَمَا والله لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا، سَأَلْتُ عَنْهَا رسولَ الله e فقال: «بَلْ ائْتَمِرُوا بِالمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعِ الْعَوَامَّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ». قال عَبْدُ الله بنُ الْمُبَارَكِ: وَزَادَنِي غيرُ عُتْبَةَ قِيلَ: يَا رَسُولَ الله أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ؟ قال: «لاَ، بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا مِنْكُمْ»**[1].

---

(١) قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب ،وحسنه أيضًا ابن القيم في «نونيته»، وفي الحديث لين وضعف .

ولهذا أمر الله ـ تعالى ـ عباده بالصبر، والثبات على هذا المنهج المزكى من قبل رب العالمين، ومالك الملك أجمعين. فقال، عز من قائل عليمًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ آل عمران [٢٠٠].

فأمر بالمجاهدة، والمصابرة، والبقاء، مرابطين على هذه الحال العظيمة؛ حتى نلقى الله ـ تبارك وتعالى ـ ولهذا قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ الروم [٦٠].

فنسأله ـ تعالى ـ الثبات على هذا الصراط المستقيم، حتى نلقاه عليه إنه جواد كريم برٌّ رءوف رحيم وهو ولي ذلك والقادر عليه [١].

@@@

(١) وقد تكلم الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «مدارج السالكين» عن مميزات وصفات هذا الصراط المستقيم كلامًا كافيًا شافيًا فليراجع فإنه نفيس ومفيد جدًّا.

ثامنًا: إن الله اشترى فيا فوز البائعين

إن من أعظم ما يدعونا إلى الثبات، والاعتزاز بهذا الدين أن نتذكر الثمن الذي وعده الله لعباده المؤمنين الصادقين المتقين قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الله اشْتَرَى مِنَ المؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ الله فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيم﴾ التوبة [١١١].

قال ابن كثير في «تفسيره»: (أخبر تعالى أنه عاوض من عباده المؤمنين عن أنفسهم، وأموالهم - إذ بذلوها في سبيله - بالجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه، فإنه قَبِلَ العِوض عما يملكه بما تفضل به على عبيده المطيعين له. ولهذا قال الحسن البصري، وقتادة: بايعهم والله فأغلى ثمنهم، وقال شمر بن عطية: ما من مسلم إلا ولله عزَّ وجلَّ في عنقه بيعة وَفَّى بها، أو مات عليها، ثم تلا هذه الآية، وقال عبد الله بن رواحة ـ رضي الله عنه ـ لرسول الله ﷺ يعني ليلة العقبة: اشترط لربك، ولنفسك ما شئت. فقال: «**أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم**»، قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: «**الجنة**»، قالوا: ربح البيع لا نقيل، ولا نستقيل، فنزلت: ﴿إِنَّ الله اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

أَنفُسَهُمْ﴾ الآية التوبة [١١١]، وقوله: ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ التوبة [١١١] أي سواء قَتَلوا أو قُتلوا، أو اجتمع لهم هذا وهذا، فقد وجبت لهم الجنة؛ ولهذا جاء في «الصحيحين»: «**تكفّل الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه، إلا جهادًا في سبيلي، وتصديقًا برسلي بأن توفاه أن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى منزله الذي خرج منه نائلًا ما نال من أجر، أو غنيمة**» وقوله: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ التوبة [١١١] تأكيد لهذا الوعد، وإخبار بأنه قد كتبه على نفسه الكريمة وأنزله على رسله في كتبه العظيمة وهي ﴿التَّوْرَاةِ﴾ المنزلة على موسى، و﴿الإِنجِيلِ﴾ المنزل على عيسى، و﴿الْقُرْآنِ﴾ المنزل على محمد، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقوله: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ الله﴾ التوبة [١١١] فإنه لا يخلف الميعاد، وهذا كقوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ الله حَدِيثًا﴾ النساء [٨٦]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ الله قِيلًا﴾ النساء [١٢٢]، ولهذا قال: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ التوبة [١١١] أي فليستبشر من قام بمقتضى هذا العقد، ووفَّى بهذا العهد، بالفوز العظيم، والنعيم المقيم). اهـ.

وسأذكر جملة من الأحاديث التي تبين فضل الجهاد في سبيل الله، وإن كانت كثيرة جدًّا ولكن أنتقي منها ما يلي:

عن أبي هريرة ـ رَضِيَ الله عَنهُ ـ قال، قال، رَسُول الله ﷺ: «**تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرج؛ إلا جهادًا في سبيلي، وإيمانًا بي، وتصديقًا برسلي فهو ضامن علي أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلى منزله الذي خرج منه بما نال من أجر، أو غنيمة، والذي نفس محمد بيده ما من كَلْمٍ يُكْلَم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة، كهيئته يوم كُلِم؛ لونه لون دم وريحه ريح مسك، والذي**

نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدًا، ولكن لا أجد سعة، فأحملهم ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل»(١)

عن أبي هريرة ـ رَضِيَ الله عَنهُ ـ قال: قيل: يا رَسُول الله! ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: «**لا تستطيعونه**»، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثًا كل ذلك يقول: «**لا تستطيعونه**»، ثم قال: «**مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله**» (٢).وفي رواية البخاري: أن رجلًا قال: يا رَسُول الله دلني على عمل يعدل الجهاد. قال:«**لا أجده** »، ثم قال: «**هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر** ؟» فقال: ومن يستطيع ذلك!

وعنه ـ رَضِيَ الله عَنهُ ـ أن رَسُول الله ﷺ قال: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض**»(٣).

وعن أبي سعيد الخدري ـ رَضِيَ الله عَنهُ ـ أن رَسُول الله ﷺ قال: «**من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا، وجبت له الجنة**» فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها عليّ يا رَسُول الله، فأعادها عليه، ثم قال: «**وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين**

(١) أخرجه مُسلِمٌ وروى البخاري بعضه.
(٢) متفقٌ عَلَيهِ. وهذا لفظ مسلم.
(٣) أخرجه البُخَارِيُّ

السماء والأرض، قال: وما هي يا رَسُول الله؟ قال: «الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله»(١)

وعن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري قال سمعت أبي ـ رَضِيَ الله عَنهُ ـ وهو بحضرة العدو يقول: قال رَسُول الله ﷺ: «**إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف**»، فقام رجل رث الهيئة فقال: يا أبا موسى، أأنت سمعت رَسُول الله ﷺ يقول هذا؟ قال: نعم، فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام، ثم كسر جفن سيفه فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قتل(٢).

وعن أنس ـ رَضِيَ الله عَنهُ ـ أن النبي ﷺ قال: «**ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات؛ لما يرى من الكرامة**» وفي رواية: «**لما يرى من فضل الشهادة**»(٣).

وعن أنس ـ رَضِيَ الله عَنهُ ـ أن أم الربيع بنت البراء، وهي أم حارثة بن سراقة، أتت النبي ﷺ فقالت: يا رَسُول الله! ألا تحدثني عن حارثة - وكان قتل يوم بدر - فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء. فقال: «**يا أم حارثة إنها جنان في الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى**»(٤).

وعن أبي هريرة ـ رَضيَ الله عَنهُ ـ قال: قال رَسُول الله ﷺ: «**ما يجد**

---

(١) أخرجه مُسلِمٌ.
(٢) أخرجه مُسلِمٌ.
(٣) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.
(٤) أخرجه البُخَارِيُّ.

الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة»[١].

والأمة مأمورة باستمرارية الإعداد، والاستعداد للجهاد. سواء في حالة الشدة والرخاء فعن أبي هريرة ـ رَضِيَ الله عَنهُ ـ قال: سمعت رَسُول الله ﷺ يقول: «**ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه**»[٢].

وعن أبي حماد، ويقال: أبو سعاد، ويقال أبو أسد، ويقال أبو عامر، ويقال أبو عمرو، ويقال أبو الأسود، ويقال أبو عبس، عقبة بن عامر الجهني ـ رَضِيَ الله عَنهُ ـ قال: سمعت رَسُول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي؛ ألا إن القوة الرمي؛ ألا إن القوة الرمي**»[٣].

فما أعظم هذا البيع وما أغلى ذلك الثمن، فلنبع مهما كانت التكاليف، ومهما كانت التبعات، ولنمض قدمًا في دروب العزة والإباء، ولنبذل النفوس رخيصة في سبيل رب الأرض والسماء، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ الله مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ الله عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ النساء[١٠٤].وقال، تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الروم [٤٧].وقال، تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ @ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ

(١) أخرجه الترمذي وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيح.
(٢) أخرجه مسلم .
(٣) أخرجه مسلم .

@ وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ @ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاء لَضَالُّونَ @ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ @فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ @ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ @ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ المطففين [٢٩-٣٦]. وبين ـ تعالى ـ أن للمعتزين بدينهم الصابرين الثابتين عليه الأمنَ التام، والاهتداء التام في الدنيا، والدار الآخرة فقال تعالى: ﴿وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي الله وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاء رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ @ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِالله مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ @ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ الأنعام [٨٠-٨٢].

وفي «صحيح البخاري» عن الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ ـ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ـ يُحدِّثُ قَالَ: جَعَلَ النَّبِيُّ e عَلَى الرَّجَّالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ ـ وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا ـ عَبْدَ الله بْنَ جُبَيْرٍ فَقَالَ: «**إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ**» فَهَزَمُوهُمْ قَالَ: فَأَنَا وَالله رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ، قَدْ بَدَتْ خَلَاخِلُهُنَّ وَأَسْوُقُهُنَّ رَافِعَاتٍ ثِيَابَهُنَّ فَقَالَ: أَصْحَابُ عَبْدِ الله بْنِ جُبَيْرٍ الْغَنِيمَةَ أَيْ قَوْمِ! الْغَنِيمَةَ! ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ فَمَا تَنْتَظِرُون فَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ جُبَيْرٍ: أَنَسِيتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ الله e قَالُوا: وَالله لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ، فَلَنُصِيبَنَّ مِنْ الْغَنِيمَةِ، فَلَمَّا أَتَوْهُمْ صُرِفَتْ وُجُوهُهُمْ؛ فَأَقْبَلُوا مُنْهَزِمِينَ فَذَاكَ إِذْ يَدْعُوهُمْ الرَّسُولُ فِي أُخْرَاهُمْ فَلَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ e غَيْرُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَأَصَابُوا مِنَّا سَبْعِينَ

وَكَانَ النَّبِيُّ e وَأَصْحَابُهُ أَصَابُوا مِنْ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمِائَةً سَبْعِينَ أَسِيرًا وَسَبْعِينَ قَتِيلًا، فَقَالَ أَبو سُفْيَانَ: أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَنَهَاهُمْ النَّبِيُّ e أَنْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَمَّا هَؤُلَاءِ فَقَدْ قُتِلُوا، فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ، فَقَالَ: كَذَبْتَ، وَالله يَا عَدُوَّ الله! إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لَأَحْيَاءٌ كُلُّهُمْ، وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوؤك. قَالَ: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ فِي الْقَوْمِ مُثْلَةً لَمْ آمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسُؤْنِي ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِزُ: أُعْلُ هُبَلْ أُعْلُ هُبَلْ قَالَ النَّبِيُّ : e « **أَلَا تُجِيبُوا لَهُ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «**قُولُوا الله أَعْلَى وَأَجَلُّ**» قَالَ: إِنَّ لَنَا الْعُزَّى وَلَا عُزَّى لَكُم. فَقَالَ النَّبِيُّ e : «**أَلَا تُجِيبُوا لَهُ**» قَالَ قَالُوا يَا رَسُولَ الله مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «**قُولُوا الله مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُم**».

وفي زيادة للإمام أحمد في «مسنده» من طريق عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن عبيد الله، عن ابن عباس، قال: فقال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، الأيام دول وإن الحرب سجال. قال: فقال عمر: لا سواء قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار. وهذه زيادة فيها ضعف وشذوذ. والله أعلم.

قال الله، تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهالَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء والله لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ آل عمران [١٤٠].

فأقبلوا عباد الله! على هذه التجارة الرابحة، ولا تكونوا كالذين قال الله، تعالى فيهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَالَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ الله

اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ التوبة [٣٨].

ولهذا حذرنا النبي e من نسيان هذه الصفقة الرابحة، ومن الرضا بهذه الحياة الدنيا من الآخرة.

فعن عمر بن عوف الأنصاري ـ رَضِيَ الله عَنهُ ـ أن رَسُول الله e بعث أبا عبيدة بن الجراح ـ رَضِيَ الله عَنهُ ـ إلى البحرين؛ يأتي بجزيتها فقدم بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة، فوافوا صلاة الفجر مع رَسُول الله ﷺ، فلما صلى رَسُول الله e انصرفوا؛ فتعرضوا له؛ فتبسم رَسُول الله e، حين رآهم ثم قال: «**أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين؟**» فقالوا: أجل يا رَسُول الله. فقال:«**أَبشِرُوا وأَمِّلُوا ما يَسُرُّكم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم**»(١).

وعن أبي سعيد الخدري ـ رَضِيَ الله عَنهُ ـ قال: جلس رَسُول الله e على المنبر وجلسنا حوله فقال: «**إن مما أخاف عليكم بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها**»(٢).

وعن المستورد بن شداد ـ رَضِيَ الله عَنهُ ـ قال: قال رَسُول الله ﷺ: «**ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع!**»(٣).

---

(١) متفق عليه .
(٢) متفق عليه .
(٣) أخرجه مسلم .

وعن أبي هريرة ـ رَضِيَ الله عَنهُ ـ قال: قال رَسُول الله ﷺ: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**»(١).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ t أَنّ رَسُولَ الله e قَالَ: «**أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ الله لَكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدّنْيَا**» قَالُوا: وَمَا زَهْرَةُ الدّنْيَا؟ يَا رَسُولَ الله قَالَ: «**بَرَكَاتُ الأَرْضِ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَهَلْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشّرّ؟ قَالَ: «**لاَ يَأْتِي الخَيْرُ إِلاّ بِالخَيْرِ. لاَ يَأْتِي الخيْرُ إِلاّ بِالخيْرِ. لاَ يَأْتِي الخيْرُ إِلاّ بِالخيْرِ. إِنّ كُلّ مَا أَنْبَتَ الرّبِيعُ يَقْتُلُ أَوْ يُلِمّ، إِلاّ آكِلَةَ الخضِرِ. فَإِنّهَا تَأْكُلُ. حَتّىَ إِذَا امْتَدّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتِ الشّمْسَ. ثُمّ اجْتَرّتْ وَبَالَتْ وَثَلَطَتْ. ثُمّ عَادَتْ فَأَكَلَتْ. إِنّ هَذَا المالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فَمَنَ أَخَذَه بَحُقه، ووَضَعَهُ فِي حَقّهِ، فَنِعْمَ المعُونَةُ هُوَ. وَمَنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ حَقّهِ، كَانَ كَالّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ**»(٢).

وبهذا نعلم أن من أعظم ما يصرف الناس عن العز، والتمكين هو الانغماس في ملاذ هذه الحياة الدنيا الفانية، فنحن ما خلقنا لنحيا، ولكنا خلقنا؛ لنعبد الله تعالى، ثم نموت، ثم نلقاه؛ فيوفينا أجورنا يوم القيامة، بفضله ومَنِّه وكرمه، فضلًا منه وإحسانًا تبارك وتعالى.

ولهذا انظروا إلى أحوالنا اليوم! لما كثر انغماسنا في ملاذ الحياة الدنيا كيف ركنا إليها، وكرهنا البعد عنها؛ فعطلنا الجهاد في سبيل الله، وكرهنا لقاء الأعداء؛ لنصرة دين الله تعالى، ورضينا بالدون، والمهانة؛ فأصبحنا أذل الأمم اليوم، ولن يعود إلينا عزنا، ومكانتنا إلا بالرجوع إلى الله من قريب، وبيع النفوس له تبارك وتعالى؛ عندها فقط حَدِّثْ ـ ولا حرج ـ عن عز

(١) أخرجه مسلم .
(٢) متفق عليه .

عظيم للمؤمنين، وخزي مبين لأعداء هذا الدين، ولهذا قال النبي e فيما يرويه ابْنُ عُمَرَ ـ رَضِي الله عَنْهُما ـ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله e يقُول: «**إذا تَبَايَعْتُمْ بالعِينةِ وأَخَذْتُمْ أَذْنابَ الْبَقَرِ وَرَضِيْتمْ بالزَّرْع وتركْتُمُ الجِهادَ؛ سَلّطَ الله عَلَيْكُمْ ذلًا لا يَنْزِعُهُ شيءٌ حَتى تَرْجعُوا إلى دينكُم**» (١).

ولا ننسى ونحن نذكر ونسرد الأدلة في أهمية الجهاد بالسنان أن نتذكر ونشيد بجهاد اللسان بالعلم الشرعي والصدع به وبثه وتعليمه فقد قال تعالى: ﴿فَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ الفرقان [٥٢] قال ابن جرير الطبري في تفسيره لهذه الآية: (فلا تطع الكافرين فيما يدعونك إليه من أن تعبد آلهتهم فنذيقك ضعف الحياة وضعف الممات ولكن جاهدهم بهذا القرآن جهادًا كبيرًا حتى ينقادوا للإقرار بما فيه من فرائض الله ويدينوا به ويذعنوا للعمل بجميعه طوعًا وكرهًا وبنحو الذي قلنا في قوله: ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ﴾ قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك: حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثني حجاج عن ابن جريج قال: قال ابن عباس قوله: ﴿فَلاَ تُطِعِ الكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ﴾ قال : بالقرآن).اهـ.

وقد سمى الله تعالى تعلم العلم وتعليمه ونشره وبثه جهادًا ونفيرًا كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ التوبة [١٢٢] ولهذا فللعلم وأهله سهم من الزكاة فهم من جملة النافرين في سبيل الله وهذا مذهب جماعات من أهل العلم، وقد جاء التصريح بأن طالب العلم في

(١) أخرجه أَبو داودَ مِنْ روايةِ نافعٍ عَنْهُ وَفي إسنادِهِ مَقَالٌ ولأحْمَدَ نَحْوُهُ مِنْ روَايةِ عطَاءٍ وَرجَالُهُ ثِقاتٌ وَصحّحَهُ ابْنُ الْقَطّانِ.والحديث وإن كان فيه ضعف إلا أن معناه صحيح وله شواهد كثيرة لا سيما فيما يتعلق بخطورة الركون إلى الدنيا والزهد في الآخرة وقد تقدم طرف منها .

سبيل الله ـ ولكن الحديث ضعيف ـ وهو ما أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع**» قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن غريب ورواه بعضهم فلم يرفعه. بل إن تفريغ طلاب العلم والإنفاق على العلماء من آكد الأمور ومن أعظم أسباب الرزق كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك قال: كان أخوان على عهد النبي ﷺ فكان أحدهما يأتي النبيَّ ﷺ والآخر يحترف فشكى المحترف أخاه إلى النبيِّ ﷺ ، فقال : «**لعلك ترزق به**» قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ومهمة وأهمية العلماء في الأمة لا ينكرها إلا جاهل مفتون أو ضال ظالم لنفسه، فهم الذين أشهدهم الله تعالى على أعظم شهادة، فقال تعالى: ﴿ شَهِدَ الله أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا العِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ آل عمران [١٨]، واكتفى بإيمانهم فقال جل من قائل عليمًا: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ الإسراء [١٠٧-١٠٩]، وقال تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ أَنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الله لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الحج [٥٤]، ورفع مكانتهم فقال: ﴿يَرْفَعِ الله الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ وَالله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ المجادلة [١١]، وأثنى الله تعالى على فهمهم ومعرفتهم وفراستهم فقال تعالى كما في قصة قارون: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ الله خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلاَ

يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ ﴾ القصص [٧٩، ٨٠] وأحال عليهم لمعرفة وتعلم شرعه جل وعلا فقال تعالى: ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ﴾ سبأ [٦]، وبين أنهم هم حفاظ شرعه فقال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ ﴾ العنكبوت [٤٩]، بل وأمر بسؤالهم فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل [٤٣، ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ الأنبياء [٧]، فعليهم واجب عظيم وجهاد كبير ببيان الحق والصدع به والقيام به حق القيام، فهم على ثغرة عظيمة ولا قوام للأمة بدونهم، فاللهَ اللهَ أن يؤتى الإسلامُ من قِبلكم معاشر العلماء.

وكما أنهم هم ورثة الأنبياء في الدنيا وهم أهل الفتوى وبيان الأحكام في هذه الدنيا فكلمتهم هي النافذة في ذلك عند سائر عباد الله المتقين فهم كذلك المتكلمون يوم القيامة فهم الذين يؤذن لهم بالكلام يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم يوم لا تسمع إلا همسًا كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ المُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ الله إِلَى يَوْمِ البَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ البَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ الروم [٥٥، ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ يَوْمَ القِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ إِنَّ الخِزْيَ اليَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الكَافِرِينَ﴾ النحل [٢٧].

فهم أهل جهاد العلم وإقامة الحجة وتبليغ الدين وهم المنافحون عن دين الله وكتبه ورسله حتى قال الحسن البصري: «يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح مداد العلماء» وروي مرفوعًا ولا يصح بل هو إلى الوضع أقرب إن لم يكن كذلك.

حتى قال ابن القيم في كتابه «الفروسية» في كلام نفيس له عن جهاد الجلاد وجهاد الجدال قال: «فروسية العلم والبيان وفروسية الرمي والطعان، فالفروسية فروسيتان فروسية العلم والبيان وفروسية الرمي والطعان ولما كان أصحاب النبي ﷺ أكمل الخَلق في الفروسيتين فتحوا القلوب بالحجة والبرهان والبلاد بالسيف والسنان وما الناس إلا هؤلاء الفريقان ومن عداهما فإن لم يكن ردءًا وعونًا لهما فهو كَلٌّ على نوع الإنسان وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسولَهُ بجدال الكفار والمنافقين وجلاد أعدائه المشاقين والمحاربين فعِلْمُ الجدال والجلاد من أهم العلوم وأنفعها للعباد في المعاش والمعاد ولا يعدل مداد العلماء إلا دم الشهداء والرفعة وعلو المنزلة في الدارين إنما هي لهاتين الطائفتين وسائر الناس رعية لهما منقادون لرؤسائهما» . اهـ.

وأخرج عبدالبر في «فضل العلم» عن إبراهيم النخعي قال: «يجاء بعمل الرجل فيوضع في كفة ميزانه يوم القيامة فيخف فيجاء بشيء أمثال الغمام فيوضع في كفة ميزانه فترجح فيقال له: أتدري ما هذا؟ فيقول: لا. فيقال له: هذا فضل العلم الذي كنت تعلِّمه الناس».

وأخرج ابن المبارك في الزهد عن حماد بن أبي سليمان قال: يجيء رجل يوم القيامة فيرى عمله محتقرًا فبينما هو كذلك إذ جاءه مثل السحاب حتى يقع في ميراثه فيقال: هذا ما كنتَ تعلِّم الناس من الخير فورث بعدك فأجرت فيه.

واقرأ أخي ـ بارك الله فيك ـ هذه القصة العجيبة، لتعرف طرفًا مما كان عليه سلف هذه الأمة الأخيار الأطهار، لتعرف السِّرَّ وراء عزهم، وذلنا، وتقدمهم وتأخرنا، واجتماعهم وفرقتنا، وهيبتهم وتبذلنا.

روى الدارمي أبو محمد في «مسنده»: أخبرنا يعقوب بن إبراهيم قال: حدثنا محمد بن عمر بن الكميت قال: حدثنا علي بن وهب الهمداني قال: أخبرنا الضحاك بن موسى قال: مر سليمان بن عبدالملك بالمدينة، وهو يريد مكة فأقام بها أيامًا فقال: هل بالمدينة أحد أدرك أحدًا من أصحاب النبي؟ قالوا له: أبو حازم. فأرسل إليه فلما دخل عليه قال له: يا أبا حازم ما هذا الجفاء ؟ قال أبو حازم: يا أمير المؤمنين! وأي جفاء رأيت مني ؟ قال: أتاني وجوه أهل المدينة، ولم تأتني ؟!قال: يا أمير المؤمنين! أعيذك بالله أن تقول ما لم يكن، ما عرفتني قبل هذا اليوم، ولا أنا رأيتك.قال: فالتفت إلى محمد بن شهاب الزهري فقال: أصاب الشيخ، وأخطأت، قال سليمان: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟ قال لأنكم أخربتم الآخرة، وعمرتم الدنيا؛ فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب، قال: أصبت يا أبا حازم، فكيف القدوم غدًا على الله تعالى؟ قال: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه؛ فبكى سليمان وقال: ليت شعري ما لنا عند الله؟ قال: اعرض عملك على كتاب الله. قال: وأي مكان أجده؟ قال: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ @ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ الانفطار [١٣ - ١٤] قال سليمان: فأين رحمة الله يا أبا حازم ؟قال أبو حازم: رحمة الله قريب من المحسنين، قال له سليمان: يا أبا حازم فأي عباد الله أكرم ؟ قال: أولو المروءة والنهى. قال له سليمان: فأي الأعمال أفضل ؟ قال أبو حازم: أداء الفرائض مع اجتناب المحارم، قال سليمان: فأي الدعاء أسمع ؟ قال: دعاء

المحسن إليه للمحسن، فقال: أي الصدقة أفضل ؟ قال: للسائل البائس، وجهد المقل ليس فيها منٌّ ولا أذى، قال: فأي القول أعدل ؟ قال: قول الحق عند من تخافه، أو ترجوه، قال: فأي المؤمنين أكيس ؟ قال: رجل عمل بطاعة الله ودل الناس عليها، قال: فأي المؤمنين أحمق ؟ قال: رجل انحط في هوى أخيه، وهو ظالم؛ فباع آخرته بدنيا غيره، قال له سليمان: أصبت فما قولك فيما نحن فيه ؟ قال: يا أمير المؤمنين، أو تعفيني ؟ قال له سليمان: لا ولكن نصيحة تلقيها إلي، قال: يا أمير المؤمنين إن آباءك قهروا الناس بالسيف، وأخذوا هذا المُلْك عنوة على غير مشورة من المسلمين، ولا رضاهم؛حتى قتلوا منهم مقتلةً عظيمةً، فقد ارتحلوا عنها، فلو شعرت ما قالوه وما قيل لهم ؟! فقال له رجل من جلسائه: بئس ما قلت يا أبا حازم، قال أبو حازم: كذبت إن الله أخذ ميثاق العلماء، ليبيننه للناس، ولا يكتمونه. قال له سليمان: فكيف لنا أن نصلح ؟قال: تَدَعُوَن الصَّلَف، وتتمسكون بالمروءة، وتقسمون بالسوية، قال له سليمان: فكيف لنا بالمأخذ به ؟ قال أبو حازم: تأخذه من حله، وتضعه في أهله، قال له سليمان: هل لك يا أبا حازم أن تصحبنا فتصيب منا، ونصيب منك.قال: أعوذ بالله، قال له سليمان: ولم ذاك؟ قال: أخشى أن أركن إليكم شيئًا قليلًا؛ فيذيقني الله ضعف الحياة، وضعف الممات. قال له سليمان: ارفع إلينا حوائجك، قال: تنجيني من النار، وتدخلني الجنة، قال له سليمان: ليس ذاك إلي، قال أبو حازم: فما لي إليك حاجة غيرها،قال فادع لي: قال أبو حازم: اللهم إن كان سليمان وليك فيسره لخير الدنيا والآخرة، وإن كان عدوك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى.قال له سليمان: قط؟ قال أبو حازم: قد أوجزت، وأكثرت، إن كنت من أهله، وإن لم تكن من أهله، فما ينبغي أن أرمي عن قوس ليس لها وتر.قال له سليمان: أوصني قال: سأوصيك وأوجز: عظِّمْ ربك، ونزهه أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث

أمرك. فلما خرج من عنده بعث إليه بمائة دينار، وكتب إليه أن أنفقها، ولك عندي مثلها كثير، قال: فَرَدَّها عليه، وكتب إليه: يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن يكون سؤالك إياي هزلًا، أو ردي عليك بذلًا، وما أرضاها لك، فكيف أرضاها لنفسي ؟ إن موسى بن عمران لما ورد ماء مدين وجد عليه رعاء يسقون، ووجد من دونهم جاريتين تذودان فسألهما، فقالتا: ﴿لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ @ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ القصص [٢٣ ـ ٢٤] وذلك أنه كان جائعًا خائفًا لا يأمن، فسأل ربه، ولم يسأل الناس، فلم يفطن الرعاء، وفطنت الجاريتان؛ فلما رجعتا إلى أبيهما أخبرتاه بالقصة، وبقوله، فقال: أبوهما وهو شعيب ـ عليه السلام ـ هذا رجل جائع فقالت: إحداهما اذهبي فادعيه فلما أتته عظمته، وغطت وجهها، وقالت: إن أبي يدعوك؛ ليجزيك أجر ما سقيت لنا؛ فشق على موسى حين ذكرت (أجر ما سقيت لنا)، ولم يجد بدًّا من أن يتبعها؛ لأنه كان بين الجبال جائعًا مستوحشًا، فلما تبعها؛ هبت الريح، فجعلت تصفق ثيابها على ظهرها، فتصف له عجيزتها، وكانت ذات عجز، وجعل موسى يعرض مرة، ويغض أخرى، فلما عيل صبره؛ ناداها: يا أمة الله كوني خلفي، وأريني السمت بقولك، فلما دخل على شعيب إذ هو بالعشاء مهيئًا، فقال له شعيب: اجلس يا شاب؛ فتعشى، فقال له موسى عليه السلام: أعوذ بالله فقال له شعيب: لم ؟ أما أنت جائع ؟ قال: بلى، ولكن أخاف أن يكون هذا عوضًا لما سقيتُ لهما، وأنا من أهل بيت لا نبيع شيئًا من ديننا بملء الأرض ذهبًا، فقال له شعيب: لا، يا شاب، ولكنها عادتي، وعادة آبائي نقري الضيف، ونطعم الطعام؛ فجلس موسى فأكل، فإن كانت هذه المائة دينار عوضًا لما حدثت فالميتة..اهـ. أي فالموت خير لي من أن أقبلها منك.

قال القرطبي: قلت: هكذا يكون الاقتداء بالكتاب والأنبياء. انظروا إلى

هذا الإمام الفاضل، والحبر العالم كيف لم يأخذ على عمله عوضًا، ولا على وصيته بدلًا،ولا على نصيحته قصدًا، بل بين الحق وصدع، ولم يلحقه في ذلك خوفٌ، ولا فزع.قال رسول الله e : «**لا يمنعن أحدكم هيبة أحد أن يقول بالحق حيث كان** »[1] وفي التنزيل ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ **ا.هـ.**

وما أحسن ما قاله الإمام ابن حزم لما سئل عن أمنيته فارتجل قائلًا:

مُنايَ مِنَ الدُّنْيَا علُوْمٌ أَبُثُّها وأَنْشُرُهَا فِي كلِّ بَادٍ وَحَاضِرِ
دُعاءٌ إلى القُرْآنِ والسُّنَنِ الَّتي تَنَاسى رِجَالٌ ذِكْرهَا فِي المحَاضِرِ
وَألزمُ أطرافَ الثُّغُورِ مُجَاهِدًا إذَا هَيْعَةٌ ثَارَتْ فأَوَّلُ نَافِرِ
لأَلْقَى حِمَامِي مُقْبِلًا غَيرَ مُدْبِرٍ بِسُمْرِ العَوَالي والرِّقَاقِ البَوَاتِرِ
كِفَاحًا مَعَ الكُفَّارِ فِي حَوْمَةِ الوَغَيَ وَأكْرَمُ مَوْتٍ لِلْفَتَى قَتْلُ كَافِرِ
فَيَاربِّ لا تَجْعَلْ حِمَامِي بِغَيْرِهَا وَلَا تَجْعَلَنِّي مِن قَطِيْنِ المقَابِرِ

فأَقْبلُوا عباد على سلعة الله فإنها غالية إن سلعة الله الجنة فيا سعادة الفائزين بها وياخيبة وخسران المحرومين منها.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

يا سلعة الرحمن لست رخيصة بل أنت غالية على الكسلان

---

(١) أخرجه أحمد من حديث أبي سعيد الخدري t وظاهر إسناده الصحة وله شواهد . ولفظه عند أحمد: عن أبي سعيد الخدري t : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يمنعن أحدكم هيبة الناس أن يتكلم بحق إذا رآه أو شهده أو سمعه» فقال أبو سعيد: وددت أني لم أكن سمعته ، وقال أبو نضرة: وددت أني لم أكن سمعته .اهـ.

يا سلعة الرحمن ليس ينالـها في الألف إلا واحد لا اثنـان

فلا تكونوا كأهل الكتاب، الذين يحرصون كل الحرص على الحياة، حتى ولو كانت ذليلة، حتى ولو عاش مهانًا، كما قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ العَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ البقرة [٩٦]، هكذا بصيغة النكرة (على حياة) أيًّا كانت هذه الحياة، المهم أن يعيش؛ أما المؤمن فلسان حاله يقول:

فـإمـا حـيـاة تسرُّ الصَّديـق وإمــا ممــات يغـيظُ الـعِـدَا

فاللهم حرمنا ووالدينا، وإخواننا، وذرارينا، وأزواجنا، ومشائخنا، وأحبابنا على النار، وأدخلنا الجنة برحمتك يا عزيز ياغفار.

@@@

تاسعًا: نماذج من مواقف العز والبطولة

الموقف الأول: عن عبدالرحمن بن عوف أنه قال:(بينا أنا واقف في الصف يوم بدر نظرت عن يميني وشمالي. فإذا أنا بين غلامين من الأنصار. حديثةٌ أسنانهما تمنيت لو كنت بين أضلع منهما. فغمزني أحدهما فقال: يا عم ! هل تعرف أبا جهل؟ قال: قلت: نعم. وما حاجتك إليه يا بن أخي؟ قال: أُخْبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده ! لإن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا. قال: فتعجبت لذلك. فغمزني الآخر فقال مثلها. قال: فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يزول في الناس. فقلت: ألا تَرَيان ؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه.قال: فابتدراه، فضرباه بسيفيهما، حتى قتلاه. ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه. فقال: «أيكما قتله؟» فقال كل واحد منهما: أنا قتلته.

فقال: «هل مسحتما سيفيكما؟» قالا: لا. فنظر في السيفين فقال: «كلاكما قتله»، وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح). (والرجلان: معاذ بن عمر بن الجموح ومعاذ بن عفراء) [١].

الموقف الثاني: ذكر الحافظ ابن حجر في ترجمة (عبد الله بن حذافة

(١) متفق عليه .

السهمي) أحد الصحابة، أنه أسرته الروم، فجاءوا به إلى ملكهم فقال له: تَنَصَّرْ، وَأَنَا أُشْرِكُكَ في ملكي، وأزوجك ابنتي، فقال له: لو أعطيتني جميع ما تملك، وجميع ما تملكه العرب على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين ما فعلت، فقال: إذن أقتلك، فقال: أنت وذاك، قال: فأمر به فصلب، وأمر الرماة فرموه قريبًا من يديه ورجليه، وهو يعرض عليه دين النصرانية فيأبى، ثم أمر به، فأنزل، ثم أمر بقدر من نحاس، فأحميت، وجاء بأسير من المسلمين، فألقاه، وهو ينظر، فإذا هو عظام تلوح، وعرض عليه، فأبى، فأمر به أن يلقى فيها، فرفع في البكرة؛ ليلقى فيها، فبكى، فطمع فيه، ودعاه، فقال: إني إنما بكيت لأن نفسي إنما هي نفس واحدة تلقى في هذه القِدْر الساعة في الله، فأحببت أن يكون لي بعدد كل شعرة في جسدي نفس تعذب هذا العذاب في الله.

وفي بعض الروايات: أنه سجنه ومنع منه الطعام والشراب أيامًا، ثم أرسل إليه بخمر ولحم خنزير، فلم يقربه، ثم استدعاه فقال: ما منعك أن تأكل؟

فقال: أما إنه قد حل لي، ولكن لم أكن لأشمتك بي، فقال له الملك: فقبّلْ رأسي، وأنا أطلقك، فقال: وتطلق معي جميع أسارى المسلمين، قال: نعم، فقبّل رأسه، فأطلقه، وأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده، فلما رجع قال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: حق على كل مسلم أن يقبّل رأس عبدالله بن حذافة، وأنا أبدأ، فقام فقبل رأسه، رضي الله عنهما.

الموقف الثالث: قال محمد بن إسحاق، عن كعب الأحبار أنه ذكر

له (حبيب بن زيد) الذي كان مسيلمة الكذاب قطعه باليمامة، حين جعل يسأل عن رسول الله ﷺ، فجعل يقول له: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ فيقول: نعم، ثم يقول: أتشهد أني رسول الله، فيقول: لا أسمع، فيقول له مسيلمة ـ لعنه الله: أتسمع هذا ولا تسمع ذاك؟ فيقول: نعم، فجعل يقطّعه عضوًا عضوًا كلما سأله لم يزده على ذلك حتى مات في يديه، فقال كعب حين قيل له اسمه حبيب: وكان والله صاحب يس اسمه حبيب.

الموقف الرابع: عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: ثم كان أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد فأما رسول الله ﷺ، فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر، فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم، فأخذهم المشركون، وألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم أحد إلا وأتاهم على ما أرادوا إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأخذوه، فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول:أحد أحد [(١)].

وفي سير أعلام النبلاء: من طريق محمد بن خالد الطحان أنبأنا أبي، عن داود، عن الشعبي قال: كان موالي بلال يضجعونه على بطنه، ويعصرونه، ويقولون: دينك اللات والعزى، فيقول: ربي الله أحد أحد، ولو أعلم كلمة أغيظ لكم منها لقلتها. فمر أبو بكر بهم فقالوا: اشتر

(١) أخرجه الإمام أحمد، و ابن أبي شيبة، و البيهقي، والحاكم، وصححه، و ابن حبان في صحيحه.

أخاك في دينك، فاشتراه بأربعين أوقية، فأعتقه، فقالوا: لو أبى إلا أوقية، لبعناه، فقال: وأقسم بالله لو أبيتم إلا بكذا وكذا لاشتريته [١].

الموقف الخامس: عن صهيب الرومي ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر، قال للملك: إني قد كبرت، فابعث إليّ غلامًا أعلمه السحر، فبعث إليه غلامًا يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك راهب، فقعد إليه، وسمع كلامه، فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر، مر بالراهب، وقعد إليه فإذا أتى الساحر، ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر، فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك، فقل: حبسني الساحر.

فبينما هو كذلك، إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم آلساحر أفضل، أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرًا، فقال: اللهم! إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة؛ حتى يمضي الناس، فرماها، فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهب، فأخبره، فقال له الراهب: أي بني! أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت، فلا تدل عليَّ.

وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله، فإن أنت

(١) هذا سند منقطع، وهو من مراسيل الشعبي.

آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله، فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني! قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله.

فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمنشار. فوضع المنشار على مفرق رأسه، فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته، فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور، فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه. فذهبوا به، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى

تفعل ما آمرك به. قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد. وتصلبني على جذع، ثم خذ سهمًا من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس. ثم قل: باسم الله رب الغلام. ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهمًا من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: باسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه، فوضع يده في صدغه في موضع السهم، فمات. فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام. آمنا برب الغلام، فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد ـ والله ـ نزل بك حذرك؛ قد آمن الناس. فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخدت، وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها، أو قيل له: اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أماه! اصبري؛ فإنك على الحق [(١)].

الله أكبر الله أكبر! هكذا تكون العزة، و هكذا يكون الرجال، وهكذا يكون الثبات على المبادئ، ولكن لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

@@@

(١) أخرجه مسلم .

الخاتمة

معاشر المسلمين والمسلمات! إن الليل لابد أن يعقبه النهار، وإن مع العسر يسرًا، وإن الجولة القادمة هي جولة الإسلام الممكنة في الأرض بإذن الله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ @ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ الأنبياء [١٠٥ ـ ١٠٦].

ولكن لابد لهذا الدين من رجال صادقين، ونساء صادقات؛ يحملون هَمَّ هذا الدين العظيم، ويرفعون شعاراته، ويطبقون تعاليمه على عز وشرف لا على استحياء وخجل وخوف وضعف وخور، ولكن هذا لن يتحقق حتى نصدق الله تعالى فيما عاهدناه عليه من الصدق واليقين والإخلاص والمتابعة للنبي e ورفع الرأس شامخًا بذلك والعمل بجد لنصرة هذا الدين. وما أحسن ما قال الشاعر:

الفجر الباسم قادم ... من قلب الليل الجاثم
وربيع الأمة آت ... من بعد شتاء قاتم
بشباب صلوا الفجر ... برجال باعوا العمرا
بشيوخ كانوا شعلا ... بالليل تشع الفكرا
ببنات طبن صفاء ... عطرا طهرا وحياء
بنساء عشن حياة ... لله وكن ضياء
بصغار عرفوا الله ... بالفطرة لا بسواها
وهم البشرى للدنيا ... وغدًا يمحون أساها
بكتاب ظل دليلا ... للأمة جيلا جيلا
من حيرتها يهديها ... ويعيد المجد أصيلا

فالله الله في بذل الجهد وإفراغ الوسع؛ لنصرة دين الله ـ تبارك وتعالى ـ وأبشروا وأملوا كل خير؛ فإن إرهاصات النصر قد لاحت في الأفق القريب بإذن الله العزيز الحميد، فاعملوا ﴿فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمُؤْمِنُونَ﴾ التوبة [١٠٥].

تَهُون الحياةُ وكلٌّ يَهُون ولكنَّ إسْلامَنا لا يَهُون

اللهم يا عزيز يا حميد يا جبار السموات والأرض! عليك بأعداء دينك أجمعين! اللهم أنزل بهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين! وأرنا بهم ما تقر به عيون عبادك الموحدين! واجعلنا اللهم من أنصار دينك القويم وصراطك المستقيم! وقر عيوننا أجمعين بنصر مؤزرٍ للإسلام والمسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين! واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولأزواجنا وأبنائنا وإخواننا ومشائخنا وأحبابنا برحمتك يا أرحم الراحمين ويا خير الغافرين! آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تم الفراغ منه في صبيحة السادس من شهر شوال لعام ألف وأربعمائة وثلاث وعشرين للهجرة النبوية المباركة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وكتبه الفقير إلى عفو ربه وإحسانه

أبو عبد الله

صادق بن عبد الله

الفهرست

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
الطريق إلى الاستعلاء بالإيمان	١٠
أولًا: وحدانية الله جل وعلا وصمديته سبحانه وتعالى	١١
صور من ثبات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام	١٥
قصة إسرائيلية منكرة (في الحاشية)	١٧
كلام نفيس عن الصحابة لشيخنا سليمان العلوان	٢٠
ربعي بن عامر t وبلاط كسرى	٢١
من بدائع ابن القيم	٢٧
ثانيًا: علوية المصدر والتشريع	٢٩
مقولة المسلم المعتز بدينه	٢٩
شرح حديث التداعي	٣١
العالَمُ والآصار والأغلال	٣٢
النظرة الانهزامية للإسلام	٣٣
الطابور الخامس	٣٤
الحجة والشبهة الواهية والرد عليها	٣٥
ثالثًا: عظمة القدوة وعلو المنزلة وشرفها	٣٩

الاعتذار الساقط ٣٨
شؤم التبديل وخطورته ٣٩
أسئلة لابد من الإجابة عنها ٤٣
حقيقة الاتباع ٤٥
شواهد مهمة للغاية ٤٦
رابعًا: صدق الميعاد وتحقق الوعد ٥١
أبيات قيِّمة لابن القيم ٥١
أبيات مؤثرة ٥٣
خامسًا: عظمة التاريخ وخطورته ٦٠
ونحن نقولها بكل صراحة وثبات ويقين ٦٢
أعداؤنا وتاريخنا المجيد ٦٥
سادسًا: تميز المسلم بشخصيته وطريقة حياته ومنهجه ٦٩
لسان حاله يقول ٦٩
المخالفة التامة للأعداء ووجوب مفارقتهم ٧٢
كتاب مهم للغاية ٧٥
سابعًا: التزكية الربانية للمنهج ٧٦
كتاب مهم للغاية في الحاشية ٧٨
ثامنًا: إن الله اشترى فيا فوز البائعين! ٨٢
أحاديث وآيات في فضل الجهاد والمجاهدين ٨٣
سبب ترك الجهاد ٨٥
نتيجة ترك الأمة للجهاد ٨٧

جهاد العلم والعلماء ٨٧
قصة مؤثرة ٨٨
أبيات رائعة ٩١
تاسعًا: نماذج من مواقف العز والبطولة ١٠٠
الخاتمة ١٠٦
الفهرس ١٠٩

قائمة كتب المؤلف

صدر للمؤلف :

١ ـ التوسل المشروع وما يضاده .
٢ ـ الاستنباطات البهية من الأدلة الشرعية .
٣ ـ الدُّرَرُ والزُّهُور من حديث جبريل المشهور (أكثر من ٤٠٠ فائدة).
٤ ـ المحبة الحقيقية للأزواج والذرية .
٥ ـ الداء العضال .
٦ ـ القول المبين في أخطاء بعض الحجاج والمعتمرين .
٧ ـ يا أمة الإسلام الاستعلاء بالإيمان .
٨ ـ رسائل رمضان إلى أمة القرآن .
٩ ـ الإنسان والأمانة الكبرى .
١٠ ـ المفاهيم والحقائق الغائبة .

كتب ستصدر قريبا إن شاء الله تعالى :

١ - الحقوق العَلِيَّة لخير البرية r .
٢ - الإجماعات السنية لشيخ الإسلام ابن تيمية .
٣ - إسعاف السَّؤُول في شرح ثلاثة الأصول.

٤ - الطائفة البرهانية في ميزان الإسلام .

٥ - الأمراض الشائعة .

٦ - القول الثمين في أخطاء المصلين والأئمة والمؤذنين .

٧ - الكيفيات المتعددات لصفات الوضوء والتيمم وغسل الجنابة والصلاة.

٨ - الهوى سر الهوان .

٩ - فساد التَّصوُّر.

١٠ - المخرج من الفتن .

كتب تحت الإعداد :

١ - تفسير جزئي عَمَّ وتبارك .

٢ - شرح العقيدة الواسطية .

٣ - شرح علل النسائي .

٤ - ما ضَعُفَ من الأحاديث والآثار في سيرة النبي المختار r .

٥ - الكلمات الرَّضِيَّة في الخطب المِنبَرِيَّة .

٦ - ما خالف الدليل من أخبار بني إسرائيل .

٧ - الصراط المستقيم.

٨ - الطريق إلى السعادة.

٩ - إنهم فتية آمنوا بربهم.

١٠ - موزع الحسنات.